روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر

Looloo
www.dvd4arab.com

نشأت المصري

نفرتيتي .. أسطورة الجمال

قبل أن تقرأ

التاريخ لم ولن يكون مجرد حواديت نتسلى بها قبل النوم .. ولكنه المؤشر الأهم الذى يحكم على مدى ثراء أو إفلاس الأمم والشعوب .. فالأمة التى تمتلك التاريخ والحضارة هى الأكثر ثراء وعراقة ولذلك تصبح مثل هذه الأمم مستهدفة ممن لا يملكون التاريخ والعراقة .. وربما يفسر لنا هذا تلك الحملة الشرسة ضد بؤرة التاريخ والحضارة والمتمثلة فى العالم العربى .. تلك الحملة التى تتلخص فى (قائمة) من المطالب تبدأ بتجديد الخطاب الدينى وتنتهى - ربما - بتجديد الخريطة الوراثية لشعوب هذه المنطقة .. ! ومن المؤسف أن البعض منا إما عن قصد أو عدم معرفة يشارك فى هذه الحملة الشرسة وذلك بتهميش أو إلغاء التاريخ والجغرافيا فى التعليم والإعلام مما يمثل أكبر الخطر على (الذاكرة الوطنية) لدى الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب .. ولكى نتصدى لمحاولات (تجريف الوعى الوطنى) وإنتشار (الأمية الوطنية) كانت فكرتنا الجديدة فى الجمع ما بين التاريخ والأدب فى (سلسلة تاريخ مصر) .. تلك السلسلة التى يشارك فى كتابتها مجموعة من ألمع أدباء مصر - وتأتى كأول محاولة - ربما فى العالم كله لأن تكتب أمة تاريخها بالأدب .. وتهدف إلى الحفاظ على التاريخ وتقديم النموذج الذى يحتذى ، والشحن بالتحدى والإرادة لصناعة مستقبل لا يخجل منه التاريخ.

رئيس التحرير

www.dvd4arab.com

مقدمة

تمكين المرأة

انهالت علينا منذ سنوات قليلة «الصواريخ الكلامية» التى تعلن اكتشاف «تمكين المرأة» والعمل على تحريرها من «الثقافة الذكورية» التى تهيمن على مجتمعاتنا، وقد شارك فى هذا الصخب أكثر من «جوقة» و«كورس».. البعض يبحث عن مكاسب ومصالح والبعض يغازل وينافق.. وقد نسى كل هؤلاء أو تناسوا أن تمكين المرأة واقع معاش منذ آلاف السنين، وقد حفل التاريخ المصرى القديم والحديث بالعشرات من الملكات والسيدات اللاتى اتسمن بالقوة والعظمة مثل - حتشبسوت - نفرتارى - نفرتيتى - تى - ميرت أمون - شجرة الدر ..إلخ بل إن المرأة فى ريف مصر تعد عنواناً رائعاً على تمكين المرأة وذلك منذ آلاف السنين

وحتى الآن، حيث تشارك الرجل كتفاً بكتف فى العمل علاوة على سيطرتها الكاملة على كل ما يخص شئون البيت..

ونتوقف من خلال هذه الرواية عند «المرأة النموذج» التى قدمت المثال الأبهى لما يجب أن تكون عليه المرأة من دون خطب أو شعارات إنها الملكة الجميلة نفرتيتى زوجة إخناتون.. وقد استطاعت هذه «المرأة الجميلة» أن تؤكد على أن تمكين المرأة يستلزم قدرات ومواهب أكثر مما يستلزم شعارات ووساطات، كما أكدت على قدرة الإنسان على حفر مكانته وبصمته على الصخر إذا امتلك الإرادة والتصميم.. حيث استطاعت نفرتيتى أن تحفر اسمها بأحرف من نور رغم الصعوبات الكثيرة والتى تلخصت فى صعوبتين كبيرتين هما الملكة «تى» والدين الجديد الذى أتى به إخناتون.. فقد تزوجت نفرتيتى من ولى العهد أمنحتب الرابع ابن

www.dvd4arab.com

الملك أمنمحتب الثالث والملكة القوية «تى» التى كانت مهيمنة على زوجها ومسيطرة على كل من حولها بما فيهم ولى العهد.. وكان أمنمحتب الثالث آخر الملوك العظماء فى الأسرة الثامنة عشر قد ورث مملكة مصرية مترامية الأطراف ولذلك اكتفى بهذه المملكة ولم يسع إلى أية فتوحات جديدة طوال فترة حكمه.. ويؤكد بعض المؤرخين على أن أمنمحتب الثالث كان مولعاً بالنساء وأن جهد وقوة الملكة «تى» كانا السند الوحيد لاستمرار وقوة الامبراطورية المصرية فى ذلك الوقت.. وفى نهاية حكم أمنمحتب الثالث حدثت بعض القلاقل فى النوبة وسوريا وفلسطين.

تولى أمنمحتب الرابع «إخناتون» الحكم (١٣٧٢ - ١٣٥٥ ق.م) ليصبح عاشر ملوك الأسرة الثامنة عشر «الدولة الحديثة».. وبعد توليه الحكم أعلن إخناتون ثورته الدينية من

خلال دعوة التوحيد ليحل الإله «آتون» محل كل الآلهة الفرعونية وعلى رأسها «آمون - رع» وأصبحت كل الأدعية باسم آتون.. ونجح إخناتون فى تغيير صفات الإله فبعد أن كان الإله محلياً إقليمياً أصبح الإله عاماً لكل البشر - وقد توازى مع هذه الثورة الدينية إنشاء عاصمة جديدة بدلاً من طيبة وأصبحت العاصمة «إختاتون» - أفق آتون - وتقع شرق النيل فى تل العمارنة وتم إنشاء مدينتين على غرار إختاتون فى كل من سوريا والنوبة وقد فجرت هذه الثورة ضغائن وكراهية كهنة آمون.. وذلك لأن دعوة إخناتون كانت تدعو إلى المساواة بين الجميع مصريين.. نوبيين - سوريين .. الخ.

ولم يكن إخناتون قادراً على النجاح فى تلك الثورة إلا بالمساندة الكبيرة التى قدمتها له زوجته الجميلة نفرتيتى «الجميلة أتت».. تلك

www.dvd4arab.com

السيدة القوية التى مازالت حتى الآن تحير العلماء والمؤرخين حيث اعتقد البعض على سبيل الخطأ أنها ميتانية الأصل من مملكة «ميتانى» شمال سوريا.. وذهب بعض المؤرخين أنها من عامة الشعب اختارتها الملكة «تى» لأنها هى الأخرى من عامة الشعب.. بل ذهب البعض إلى وجود صلة قرابة بين «تى ونفرتيتى».. والأرجح فى كل هذا أنها سيدة من أصل رفيع، حيث كان والدها يعمل فى البلاط الملكى وإن لم يكن من أصول ملكية.. ورغم ترجيح هذا الرأى إلا أن بعض المؤرخين مازال مصراً على أنها الأميرة الميتانية «تادوخيبا» وأشار آخرون إلى أنها ابنة «آى» الذى أصبح ملكاً فى أواخر عصر العمارنة «الأسرة ١٨»..

كما يذهب آخرون إلى أنها ابنة أحد نبلاء طيبة أو ابنة أحد أقارب الملك أمنمحتب الثالث..

وقد تزوجت نفرتيتى من إخناتون بعد فشل

محاولة زواجه من ابنة ملك متنى أو ميتانى كما ذكر بعض المؤرخين.. وقد دفعت كل هذه الآراء والتخمينات «كريستيان نوبلكور» فى كتابه «المرأة الفرعونية» القول عن نفرتيتى..

(أما عن الملكة نفرتيتى فلا يعرف أصلها ولا جذورها ولكن نعرف أن جمالها تحول إلى أسطورة بفضل تمثالها النصفى الشهير.. ولقد أثير الكثير من التكهنات بشأنها.. لكن هذه التكهنات لم تمط اللثام عن أصلها.. وإن كنا لا نشك فى أنها تنحدر من أصل مصرى).. وقد أنجبت نفرتيتى ست بنات هن: مريت آتون - مكت آتون - عنخ إس إن با أتن «زوجة توت عنخ آمون» - نفر نفرو آتن تاشريت - نفر فرو رع - ستب إن رع .. وقد ماتت مكت آتون فى حياة أبويها.

وكانت نفرتيتى الزوجة الملكية الكبرى للملك ولقبها «حمت نسوت ورت».. وهناك نقش فى

Looloo
www.dvd4arab.com

معبد الكرنك سجل ألقابها كالتالى: (سيدة مصر العليا والسفلى - الزوجة الملكية الكبرى - التى يحبها الملك - سيدة الأرضين - نفرتيتى.. وقد اشتهرت بذلك التمثال النصفى الذى نقله «يورخاردت» العالم الألمانى إلى متحف برلين والذى يظهر قسمات وجهها بشكل طبيعى تماما ومن أهم أثارها تلك النقوش التى تظهرها وهى تتلقى الحياة من الإله الواحد «آتون» مع زوجها الذى اعتبر ابناً وكاهناً ووسيطاً بين الإله الواحد والبشر..

وكانت نفرتيتى تتمتع بنفوذ كبير فى حياة زوجها وربما كانت مصدرا لوحيه ولم يمتد نفوذها إلى السياسة الخارجية تلك السياسة التى شهدت تراجعاً كبيراً فى النفوذ المصرى الخارجى خاصة فى جنوبى غرب آسيا وفى هذه الجزئية تختلف نفرتيتى عن «حماتها» الملكة «تى» التى ورد اسمها فى رسائل تل

العمارنة أرشيف الرسائل الدبلوماسية فى عهد أمنحتب الثالث والرابع - وهو ما يؤكد نفوذها السياسى القوى فى عهد الملكين «الزوج والابن».

ومن أهم الآثار التى تؤكد قوة نفرتيتى ذلك المنظر الذى يصورها وهى تتعبد وحدها لآتون بما يعنى «دور دينى مهم».. ومنظر آخر «موجود فى متحف بوسطن» يصورها وهى تضرب أحد الأجانب فى حضرة الإله آتون ومثل هذا المنظر كان مقصوراً على الفراعنة فقط، مما يؤكد على أنها كانت ذات قوة تعادل قوة الملك نفسه خاصة وقد تم تصويرها بحجم مساو له تماماً فى مناظر التعبد للإله آتون عكس ما كان يحدث عند تصوير ملوك الفراعنة وزوجاتهم.. وربما هذا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن نفرتيتى ربما تكون قد تولت الحكم مع زوجها إخناتون فى آخر أيامه «منذ

www.dvd4arab.com

بداية العام السابع عشر لحكمه، وأنها قد حكمت باسم نفر نفرو آتن وقد اتخذت التاج الملكى ووضع اسمها فى خرطوش ملكى.. ويذهب البعض إلى أنها ربما قد حكمت بعد رحيل إخناتون وهى التى أجلست توت عنخ آمون على العرش (نفس ما حدث من شجرة الدر مع عز الدين أيبك).

وفى المقابل فهناك بعض المؤرخين الذين يذهبون إلى حدوث صراع على الحكم بين إخناتون ونفرتيتى حيث كان آخر ذكر للملكة فى العام الرابع عشر من حكم إخناتون.. ويذهب البعض إلى أن ذلك تم لوجود صراع مع الملكة الأم تى.. ويذهب مؤرخو العصر الحديث إلى ضعف مثل هذه الروايات.. وبشكل عام فقد كانت نفرتيتى ملكة مثيرة للجدل فرغم التأكيدات على أنها كانت الملهمة والمساندة لإخناتون فى دينه الجديد فقد ذهب بعض

المؤرخين إلى أنها كانت المحرض الأساسى للعودة إلى الدين القديم بعد أن أجلست توت عنخ آمون على العرش بينما يؤكد البعض الآخر على أنها ظلت مستمسكة بدين إخناتون حتى النهاية.. والمؤكد فى كل هذا أن الغموض الذى لف المرحلة الأخيرة من حياة نفرتيتى قد دفع المؤرخون والأدباء إلى إعمال الخيال فى محاولة للبحث عن نهاية تليق بهذه الملكة الجميلة التى اتسمت بالقوة.. والرأى السديد والعلم والحكمة والقدرة على التجديد فى حياتها وحياة أمتها التى انتزعت لنفسها ولبنات جنسها ما نطلق عليه الآن (تمكين المرأة) والتى جعلت هذا التمكين ينطلق من القدرات والمواهب والابتكار ولم تجعله كما يراد له الآن مجرد شعارات وكلمات جوفاء يتربح منها البعض.. كما أن نفرتيتى جعلت من نفسها النموذج الأبهى الذى يؤكد على أن تمكين

Looloo
www.ibtesama.com/vb

المرأة لمجرد كونها امرأة يعد قمة الامتهان لكرامة المرأة، أما تمكينها انطلاقاً من قدراتها ومواهبها وقدرتها على الإضافة الحقيقية فى كل مجالات الحياة فهو التكريم والتمكين الذى يليق بكل موهوب وفاعل فى المجتمع..

إنها نفرتيتى.. أسطورة الجمال والعقل معا.. فهل يقتدى بها كل النساء وخاصة أعضاء كورس تمكين المرأة؟!

محمد الشافعى

- ١ -

كعادتها .. عندما يعانق الغروب مدينة طيبة علي استحياء، فتحت نافذة غرفتها الجنوبية، وأرسلت نظراتها تناجي الأفق ثم تستريح علي الأرض الملونة بمباهج الزروع والورود، وينبض قلبها بتمجيد الخالق ..

أزعجتها طرقات متتابعة علي الباب ..

إنها صديقتها «بنره» جاءت في موعدها ..

لكن .. لم هذه الطرقات المتعجلة !!

دخلت «بنره» وعليي وجهها لهفة وقلق ..

– صديقتي نفرتيتي .. ألم تريه ؟!

– من هو ؟

– شاب فارع الطول ، يدور حول القصر ويتلفت حوله ويطيل النظر إلي نافذتك .. أعتقد أنه لص ..

نظرتا من النافذة معا .. قالت «بنرة» :

– إنه هناك.. يختبئ خلف الشجرة الكبيرة .. انظرى ..

– ربما كان عابرا يستريح ولا يلوى على شئ .

– كلا .. لقد هم بالابتعاد عندما رآنا نشير إليه.

– اللصوص لا يعملون إلا ليلا .. لكن .. لقد نبهنى الخادم إلى مشهد مماثل منذ نحو أسبوع، وكان أيضا يركز على نافذتى .

– ربما كان لصا من نوع آخر

– تقصدين .. محبا جديدا ؟

ضحكتا ثم جلستا على مقعد طويل محشو بالرياش استطردت «بنره» :

Looloo
www.dvd4arab.com

– من يرك مرة واحدة يغرق فى هواك، ألست الجميلة أنت كما يناديك الجميع .

– أتمنى أن يكون فتاى المنتظر جريئا راجح العقل يحب «رع» ويحبه «رع» رب الأرباب .

– أما أنا فحسمت أمرى ووافقت على الضابط حويا، ودعوت «حتحور» ربة الحب والجمال أن ترعانا .

– إذن .. هو مدعو معك بعد غد لحفل ترقية والدى قائد الجيوش الجنوب، وانتهائى من دراسة العلوم بتفوق ..

– سنكون أول الحاضرين ..

اتجهت نفرتيتى إلى منضدة متوسطة الحجم، قوائمها من الحجر الملون. وتناثرت عليها أوراق بردى، حملت بعضها التى دونت عليها أشعارا وخواطراً لها لتقرأها على «بنرة» .. قالت :

– بنرة .. هذه قصيدة مستوحاة من حلم زارنى مرتين .. هل لك فى تفسير الأحلام ؟..

– كان والد أمى كاهنا وعلمنى الكثير .

– بالأمس .. أثناء نوم القيلولة رأيت طائرا أبيض جميلا قادما من السماء، يحمل بين أرجله جوهرة كبيرة ألقاها بين يدى فآلمتنى..

– أبشرى يا صديقتى، ستكونين سيدة ذات شأن، فالجوهرة رمز لخير كثير ، حماك الله يا صديقتى المشرقة .

– لماذا آلمتنى .. ؟!

– هذا .. ما سوف يكشف عنه الزمن .

وتناهى إلى سمعهما صهيل حصان، فاتسعت حدقتا عينى نفرتيتى، أزاحت الأوراق جانبا، وعرضت على «بنرة» جولة على ظهر جواد إلا أنها أعتذرت خائفة من المخاطرة .. أمتطت نفرتيتى

ظهر جواد لامع الشعر ، وأنصتت لتعليمات مربى الخيول وتحذيراته لأنها المرة الثانية التى تركب فيها حصانا.. ولم تمر بضع دقائق حتى اختل توازنها وكادت تسقط من على ظهر الجواد .. وبمعاونة مربى الخيول تم إنقاذها، وقررت أن تعاود المحاولة فيما بعد ..

●

– ٢ –

في جانب من ساحة القصر الفسيحة، امتدت الموائد الزاخرة بألوان شهية من الطعام والشراب .

وفى الجانب الآخر مقاعد خشبية مزخرفة

ومع دخول الليل تقاطر المدعوون، يرحب بهم مضيفهم القائد «عاى» وإلى جواره زوجته وابنتهما نفرتيتى ، وتعرفت نفرتيتى على شخصيات كم سمعت عنها، رأت القائد الكبير «يانخام» – والضابط المتأنق «حورمحب» ، والكاهن الكبير «آنى» ثم «حويا» خطيب «بنرة» .. وغيرهم ..

قدّم الخدم أشربة وعصائر مختلفة الألوان إلى الضيوف، وبعد قليل شهدت وسط الساحة ثلاث عازفات يضعن أمشاطا خشبية فى شعرهن المصبوغ بلون واحد .. وبأيديهن آلة الجنك الوترية (الجيتار) والدف والمزمار .

وبدأن العزف والغناء، بينما راقصتان تتجاوبان مع الأنغام التى تمايلت معها بعض الرؤوس :

ما أقوى «آمون رع» المحبوب ..

حين يشرق فى الكرنك

«آمون رع» مدينته نبع الحياة ..

تبادل «عاى» والكاهن «مرى رع» نظرات ذات مغزى، سأله عن رأيه ، قال «مرى»

Looloo
www.dvd4arab.com

– كلمات بديعة ، وصوت معبر

– ما مدى صحة انصراف البعض عن عبادة آمون رع ؟

– أوهام شباب يتحدثون عن إله واحد ..

– يقال أن موقف الفرعون العظيم «أمنحتب الثالث» وزوجته «تى» غير محدد أو قاطع ..

مال الكاهن «آنى» على اذن «عاى» وهمس :

– إن الفرعون مشغول بصيد الأسود، كما أنه غارق فى هوى مخطباته الكثيرات من المصريات والأجنبيات ..

واصل «مرى» كلماته فى نبرة متألمة :

– الفرعون الآن مريض، قلق على مستقبل مصر لأن ولى العهد يدعى أن له أفكارا خاصة عن الآلهة يبدو أنه يؤمن بفكرة الإله الواحد ..

التفتت نفرتيتى إلى الكلمات الأخيرة وتابعت الحوار فى شغف..

تدخل القائد «يإنخام» فى الحوار محتجا :

– وكيف يسمح له الفرعون العظيم بذلك ؟

رد الكاهن «مرى» مشيرا دهشة نفرتيتى التى أصغت بكل حواسها لما يقوله :

– يحاول الفرعون والملكة «تى» أن يشغلا ابنهما ولى العهد عن هذه الأفكار ، فاختارا الأميرة «تادوو» لتكون زوجة ربما صرفته عن شططه ..

– لم نسمع بهذا الاسم من قبل

– انها إبنة الملك «دوشرتا» ملك دولة «متنى» فى آسيا

– هو إذن زواج سياسى ليضمن ولاء حاكم متنى ..

قال آنى :

Looloo
www.dvd4arab.com

– لا أعتقد ، فالملك «دوشرتا» على ولاء كامل لمصر .

تململ «حورمحب» فى مكانه وهو يقاوم صمته .. قال :

– معذرة ، لقد رجعت من سوريا منذ شهر .

والأمراء هناك منقسمون، فالفرعون لا يهتم بهم ولا يدعمهم بالجند، والحال كذلك فى «متنى» التى طالت اشتباكاتها مع «خيتا»

قال «آني» ؟

– على أية حال .. سنرى كل شئ قريبا ، فسوف تصل «تادوو» فى موكب ملكى فى غضون أيام ..

قال القائد «يانخام» مازحا

– نحن هنا من أجل «عاى» ونفرتيتى وليس من أجل «تادوو» . أين الغناء ..

قال «عاى» وقد ربت على كتف «يانخام»

– لتكن الأغنية القادمة احتفالا بانتهاء نفرتيتى من دراسة العلوم والحكمة ، ونترك لها الاختيار، وليتها هى التى تشجينا بالغناء .

صفق الجميع ترحيبا وتشجيعا، وطال تصفيق ضابط شاب يجلس على مقربة من «حورمحب» وعيناه مسمرتان على نفرتيتى طوال الوقت، عندئذ همست «بنرة» لها مشيرة إليه :

– إنه هو .. الشاب الذى كان يحوم حول النافذة .

هزت نفرتيتى رأسها، وبصوت حريرى ضوئى غنّت :

هذا الذى مضى .. متى يعود !!

ما عاد أى واحد .. ولن يعود

وطالما أنت على قيد الوجود

(١) المقريزى ٢٠٧ – الجزء الثانى.

فامشى وراء عقلك الرشيد

واطلب من الفرح المزيد

ولتكسب العقل السعيد

هذا الذى مضى .. متى يعود !!

ردد الجميع معها : هذا الذى مضى متى يعود ..

وتعجبوا لاختيارها هذه الأغنية الجادة التى لا ترددها الصبايا فى مثل عمرها ..

مر خادم يحمل إناء من المرمر به دهن عطرى راح يعطر منه من يرغب .

وحول المائدة التفوا .. يتناولون العشاء، ولم تنقطع حواراتهم وبعدما أوشكوا على الإنتهاء .. اندفع حارس القصر وهمس بكلمات فى أذن «عاى» .. انفض الحفل على آثرها ، فالفرعون يطلبه هو والقائد «يانخام» لاجتماع طارئ فى القصر الملكى لبحث كيفية ردع المنشقين فى آسيا

كان الضابط الشاب «إبى» آخر الذى ودعهم «عاى» .. تلكأ «إبى» قليلا وهمس لنفرتيتى مضطربا :

– هل تسمحين لى بالعودة غدا، لأحكى لك شيئا هاما .

أومأت بالموافقة، تريد أن تضع حدا لعلامات استفهام عديدة،

..وفوجئ «إبى» بقولها الذى أفقده اتزانه المفتعل :

– ليكن الآن .. تفضل يا ..

– إسمى «إبى» .. الضابط «إبى»

– هات ما عندك

– إننى أرصدك كما يرصدون القمر والنجوم

– ولماذا ترصدنى دون غيرى؟

Looloo
www.dvd4arab.com

– جمالك الذى لا يقاوم، وعيناك الرائعتان ، وصوتك الساحر، وغير ذلك كثير .. فأنت أكبر أحلامى

– كلامك شاعرى

– أنطقنى الحب ، وقد أكدت العرّافة أن آمون يبارك حلمى بالزواج منك ، وأننا موعودون بالسعادة .. طيفك لا يبارحنى

– من الواضح أنك إنسان رقيق

– سوف تجدين منى حبيبا وفيا، وزوجا مخلصا

– هل المشاعر الجميلة تكفى ؟

– أنا أهوى ركوب الخيل والصيد، وأبى قائد كبير وصاحب مال كثير وسوف أحقق لك كل رغباتك .. فقط اعطنى إشارة

– حديثك شائق، ولنا لقاءات أخرى .

– أرجو ألا يطول تفكيرك

رأى «إبى» فى تساؤلاتها الكثيرة اهتماما به، وفرح فرحا عظيما لابتسامتها العفوية التى ودعته بها .. ربما تكون معجبة به .. مشى .. تحمله أحلامه المتضخمة إلى الآفاق الوردية .

●

– ٣ –

لم يكن ولى العهد «أمنحتب الرابع» متحمسا لفكرة الزواج من فتاة غير مصرية لكنه كان حريصا على إرضاء أبيه المريض «أمنحتب الثالث» ، وأمه الملكة «تى» ، فأعد التجهيزات الملائمة لاستقبال عروسه «تادوو» التى لا يعرفها، والتى دنا موكبها من القصر ..

وتحلّق عدد كبير من رجال الدولة ونسائهم وبناتهم يحكون ويضحكون، وعبقت القاعة الكبيرة بالعطور وروائح البخور، وعلى يمين القاعة يوجد المعبد المهيب وتمثال الإله «آمون رع» فى موضع مرتفع تربطه بالأرض درجات من الخشب الملون ..

ترددت فى أنحاء القاعة أصوات الموسيقى المصاحبة لـ «تادوو» .. تقدمت «تى» المستقبلين يليها زوجها الفرعون الذى يتوكأ على أحد الخدم ، ثم العريس .. ولى العهد .. وتملك الفضول مشاعر الجميع، وفى ركن غير بعيد وقفت نفرتيتى وصديقتها «بنرة» تتأملان كلا من العريس والعروس التى بدت عليها أمارات الكبرياء والغرور – رغم جمالها المحدود .

جلست العروس فى صدر القاعة إلى جوار العريس والملكة «تى» ، وتوالت فقرات الاحتفال الملكى، وطلبت الملكة من البنات والأميرات تأدية رقصة جماعية تألقت فيها نفرتيتى، وطبعت هالة من الإعجاب فى صدور الجميع بدءا من الأمير العريس «أمنحتب الرابع» ..

أما العروس الوافدة فكانت خارج الصورة، وكان واضحا عزوفها عما يجرى حولها ومن أجلها، رأسها يعج بكلمات مضادة «ما له طويل الأنف والذقن ، ضامر الوجه كأنه فلاح مصرى، تائه العينين» أنا أحلم بفارس جميل، ليس هذا هو مرادى ..» ..

دهشت الملكة «تى» للمشهد الهزلى الكائن، فحين حدثت «تادوو» عن عريسها حوّلت الكلام إلى جمال طبيعة مصر ومبانى طيبة ، ورغبتها فى الصلاة فى المعبد ..

وإذا سألت العريس عن محاسن الأميرة «تادوو» سألها عن هذه الجميلة ذات الثوب الكتانى الأخضر الأنيق .. نفرتيتى ..

حتى رئيس بعثة الأميرة المتنى لمس ترددها ونفورها

وشهد الحفل عددا من المباريات السرية الساخنة بين العيون .. فالضابط «إبى» لا تبرح عيناه نفرتيتى التى أسرت مشاعره، وعاش على أمل استكمال تجاوبها معه، وملكه الوهم بأنها هى أيضا تحبه..

Looloo
www.dvd4arab.com

ونفرتيتى حائرة النظرات بين غموض «تادوو» وعجرفتها وشرود ولى العهد ونظراته التى لم تنقطع عنها
والفرعون فى شباك الحيرة تتجاذبه رياح القلق ..

★★★

حان وقت المثول بين يدى الإله «آمون رع» فى محرابه وقدّم الكاهن «آنى» القرابين وغاب فى إنشاده :

انك مصوّر دون أن تصوّر
منقطع القرين فى صفاته ، مخترق الأبدية
مرشد الملايين إلى السُّبُل
وعندما تقلع فى عرض السماء يشاهدك كل البشر
وحينما يأتى وقت غروبك
تصغى إليك أيضا ساعات الليل ..

ثم تمتم الفرعون بأناشيد خافتة، والعطور ترش من حوله وحول تمثال آمون رع، وبعض العازفين يعزفون ألحانا دينية تشحن القلوب بمشاعر محلّقة جارفة ..

وتعجبت نفرتيتى لصمت ولى العهد أمام المحراب كأنه منفصل تماما عن المكان والكلمات، وتذكرت قول الكاهن «مرى رع» فى بيتها بالأمس القريب :

«إن الفرعون الصغير ولى العهد يدعى أن له أفكارا خاصة عن الآلهة ..

... انتهت الطقوس الدينية التى أحياها الكهنة فى خشوع، وصافح ولى العهد الأميرة «تادوو» بيد باردة وابتسامة باهتة لا معنى لها، ولم تكن هى أقل برودا منه .. فالرسالة متبادلة .. انسحبت إلى

(١) المقريزى ٣٦٥ – الجزء الثانى

Looloo
www.dvd4arab.com

جناحها الخاص فى القصر لتستريح من عناء السفر، وأصبح شغلها الشاغل تدبير وسيلة مثلى للفرار.

فى الوقت نفسه استقلّت نفرتيتى مركبتها .. تتبعها صديقتها التى أفضت إلى ما خبأته نفرتيتى فى أعماقها .. ردت :

– ليتنى أعرف ما يدور فى عقل الأمير

بعد ثلاثة أيام .. وقبيل تحديد موعد الزفاف الذى صار حديث الخاصة والعامة التقى رئيس بعثة الأميرة بالملكة «تى» وقال فى كلمات مقتضبة ، وهو يصطنع الأسى على وجهه :

– أيتها الملكة العظيمة ، بلغنى اليوم نبأ المرض المفاجئ الشديد الذى يهدد حياة الملك دوشرتا ، وقد أصاب الهلع ابنته الأميرة ، وهى مضطرة إلى العودة لرؤية أبيها على جناح السرعة .

– إذن لنعجّل بموعد الزفاف الملكى ، وليكن غدا ..

– الأميرة فى حالة سيئة ، وهى ترجو إرجاء كل شئ حتى تطمئن على أبيها ..

تشاورت الملكة مع زوجها وابنها ، قالت :

– لو كان هذا الخبر صحيحا لراسلنا به قادة جيوشنا هناك

قال الأمير فى هدوء وتقبّل :

– هى لا تريدنا، ونحن لا نريدها ولم نكن نريدها ، وقلبى لغيرها

سافرت «تادوو» إلى بلادها محملة بالهدايا الثمينة من الذهب والفضة والثمار .

مر أسبوع، وتأكد للملكة كذب الأميرة تادوو، واستراح الأمير لذهابها بغير رجعة .. واستضاف القصر الملكى الفاتنة المشرقة – نفرتيتى – على حد قول الأمير ولى العهد .. وأنست نفرتيتى لشخصية الملكة المفكرة العالمة الحكيمة العبقرية التى تمت لها

بصلة قرابة ، وقرأت شخصية ولى العهد الذى فتح عقله وقلبه لها بلا تحفظات .. إنه يحلم بعالم واحد يدرك وحدانية الإله ، ورأت فيه نوراً جديدا، وفكرا جريئا كانت تبحث عنه، التقى العقلان بسرعة الشهب، وامتزج الفكران فصارا نهرا واحدا ...

وتكرر اللقاء وتأججت المشاعر .. وصارحت صديقتها بعالمها الجديد والفارس الذى طالما رسمت صورته فى خيالها ..

قالت «بنرة» وهى تنطق حرفا ، وتبتلع حرفا :

– أتذكرين انصراف «تادوو» غير الجميلة عنه ..

– لقد رأته ولم تستمع إليه ، وليس من رأى كمن سمع.

– هل رأته غير وسيم .

– لكنه ملك ..

– وأنت جميلة الجميلات ، ومشرقة المشرقات.

– لكننى لست ملكة..

– وهل هذا يكفى.

– العقل والحكمة يكفيان، والإنسان جميل بفكره وروحه وضميره وتفرده ، أما القطيع فله حسابات أخري.

– كان الله فى عون «إبى»، وفى عونى عندما نجلسين على العرش.

– لم أعد «إبى» بشىء ، أما أنت فرفيقتى إلى الأبد.

★★★

لجأ ولى العهد إلى أمه «تى» يسألها عن الخطوة القادمة، لقد أصبحت نفرتيتى حلم ليله ونور نهاره ، وإشراق روحه ، إنها الأجمل وربما تكون الأكمل قالت «تى»:

«لتكن لك السعادة معها، وتنجب لك البنين والبنات ، وسأقنع أبيك الفرعون باختيارك لواحدة من بنات الشعب» ..

Loolaa
www.dvd4arab.com

وفى المساء أعلن الفرعون «أمنحتب الثالث» ابنه ولى العهد بالنبأ السعيد قائلاً له فيما يشبه الاعتراف:

– أنت ابن ابيك ، فأمك الملكة هى أيضاً من بنات الشعب ، ولا توجد أميرة تتفوق عليها..

فى الليلة نفسها زف الأمير الخبر إلى حبيبته نفرتيتى وترقرق الشعر على لسانه، وعلى أجنحة الكلمات طارا إلى جنات الأحلام الممكنة .. قالت:

– يا أحب الناس إلىّ .. أنت الملك الأول والأخير على عرش قلبى، وأنت الشاعر الذى يستولى على أحلامى ، وغدا نباهى الأيام بنقاء نفوسنا ورحمة مشاعرنا، وعلى مرسانا تهدأ أحزان الضعفاء ، ويجد المظلوم ملاذا وأملا .. سنجعل للحياة حياة، ولن تجرفنا الأمواج أبداً إلى الرمال المنسية

قال:

– من الغد ، يعرف الجميع من التى ستكون ملكة مصر وإمبراطورتها .

★★★

في الصباح تناقل الناس الخبر ، وحلّقت الفرحة فى كل بيت وعلّقت الزينات على أبواب المدينة وأبراج القصور ، ها هى واحدة أخرى من بنات الشعب تصعد إلى العرش الفرعونى بعد الملكة «تى» .. يتحدث الناس كأنه فرح خاص لكل منهم .. عدا الضابط «إيبى» الذى تفجر الغضب فى صدره وتهاوت آماله فى قسوة..

– ٥ –

فرح ليس كمثله فرح .. كبار رجال الدولة فى مصر ومن مختلف بلدان الامبراطورية المصرية فى فلسطين وسوريا والنوبة

ومتنى وغيرها .. اقبلوا لإظهار الولاء والطاعة لفرعون مصر المريض وابنه «امنحتب الرابع» ولى العهد..

ازدحم المعبد بالقرابين والذبائح والخبز والشعير والأزهار ، واكتظت المخازن بالهدايا.

ولأنه لابد أن يقف ولى العهد فى المحراب فى تلك المناسبة .. وقف وأبحر بنظراته بعيداً عن الذى أمامه ، وقلبه معلقاً بالواحد الأحد الذى خلق الشمس والأفلاك وكل شىء .. ودعا:

أيها الإله الذى سوى نفسه بنفسه.

إنك ساطع وقوى وجميل.

تجعل قلوب البشر تحيا بجمالك.

ويكون جميع الكون فى عيد.

يؤدى لك ابنك الطاهر احتفالاتك السارة.

وطارت العروس نفرتيتى إعجاباً بكلمات حبيبها وكادت تصفق له ، وتوقدت روحها بكلمات جهرت بها:

أدعوك وأنت تدرى دعائى قبل أن يولد.

اجعلنا فى نور حبك نحيا.

واجعلنا رحمة للتائهين الظامئين لنيلك العظيم..

ودار الخدم فى طوابير ملتوية ، يحملون الأوانى المنيرة ، وفى تلك الضياء المرتعشة ظهر وجه بالغ الكآبة ينضح بالشر .. يدارى وجهه بكفيه، إنه «إيبى» مرة أخرى تحاوره نفسه «لقد ظفرت بزوجها الذى اختارته الآلهه فمتى تعترف بذلك .. كلا .. لن أعترف، لقد خطف قلبها منى بعد أن رسا على شاطىء..

ولم تستمر طويلاً حكايات الناس عن هذا الفرح وتفاصيله التى يضيفون إليها من خيالهم وأمنياتهم ما شاءوا ،

Loolod
www.dvd4arab.com

فبعد بضعة أسابيع ، شاعت أنباء تعرض الفرعون لأزمة صحية عاصفة.

فشلت جهود الأطباء فى علاجه ، وأعلن كبير الأطباء «بنثو» أن الطب عاجز عن إنقاذه .. ونال الفرعون من رعاية نفرتيتى أكثر مما ناله من غيرها ، وشكرت لها «تى» وإبنا الفرعون – «سمنخ كارع» ، و«توت عنخ آمون» ، تفانيها وإخلاصها .. ورحل الفرعون إلى عالم البقاء، ونظمت له جنازة ملكية مهيبة ، ودفن فى طيبة...

وأصبح الأمير «أمنحتب الرابع» ، هو فرعون مصر والبلاد الخاضعة لها فى آسيا وأفريقيا..

وتربعت نفرتيتى ، ملكة على عرش هذه الامبراطورية الكبيرة.

- ٦ -

أشفقت الملكة «تي» علي ولدها ، «أمنحتب الرابع» فرعون مصر الجديد، من المفاجأة والتحديات الصعبة التي تنتظره .. فالبلاد التى تدين بالولاء لمصر في آسيا ، فى حالة اضطراب وفوضى والحكام الموالون لمصر يتناحرون ، وكهنة «آمون رع» يتربصون بابنها، فقد جهر فى أكثر من مناسبة، بعدم إيمانه بهذه الآلهة الكثيرة ، والكهنة أصحاب مصلحة ونفوذ ولهم سطوة على أفكار الناس وحياتهم .. فماذا عساه يفعل ، وماذا عساه يكون دور نفرتيتى فى تلك الدوامات؟.. وإلى أين مسيرتهما بين تلك الألغام...

تجولت «تي» فى عقل نفرتيتى قائلة:

– وأنت الآن الملكة أيتها الحبيبة ، وأنت الذكية الجميلة يمكن أن تكون دفة الأمور فى يدك أو مشاركة مع زوجك فكيف ترين

الطريقة الآمنة للتعامل مع الكهنة، وماذا تقولين للناس، عندما يحتدم الجدل حول فكرة الإله الواحد .

قالت نفرتيتى فى ثبات وثقة وتواضع:

– دائماً أنت الملكة العظيمة «تى» .. أنت الأم لنا نحبك ونجلك، أما الدفة فلا أتطلع إليها فأنا زوجة الفرعون فحسب، وأنا واحدة من الشعب ، وإن كنت الأقرب إلى الفرعون ، أفرح أن ينجح وتكون كل القرارات فى يده.

– لكن لابد من دور لك .

– نعم أنا الزوجة دائماً، ومن خلاله يعرفنى الناس ، لا أحب أن يكون للناس حاكمان وعلى الناس سلطتان ونفوذان، ولا أحب أن أنفق من مال الشعب على أعوانى وحاشيتى، وكفى ما تتجشمه البلاد من نفقات حاكم واحد، وأنا له وللشعب الذى أحبه بالمشورة، التى لاتكلف عبئاً أو مالاً..

– وماذا عن كهنة آمون؟..

– إذا أحب الناس الفرعون ، وشعروا أنه يرعى مصالح كل واحد منهم ، دون تمييز أو وساطة، ستكون أفكاره قدوة لهم، وسيدافعون عنها وعنه ، لكن الأمر يتطلب وقتا.

– صارحينى يا ابنتى .. هل ترينه على حق؟

– أساس حبى له هو التقاء أفكارنا وعقيدتنا ..

– هل تتوقعين النجاح والوصول إلى الأمان ؟

– من يحب النيل يعشق الإبحار فيه رغم خطر التماسيح، ومن يحب الله تعجز الدنيا عن تعطيله عن عبادته.

– تعالى أقبّلك .. أيتها المشرقة الجميلة

Looloo
www.dvd4arab.com

– ومن أكون قياسا بك يارائعة كل عصر وأوان.

. . . . . .

. . . . . .

مر عام من حكم الفرعون الشاب ، وأصبحت نفرتيتى أكثر فهما لما يريده الناس ، وأكثر التصاقا بقلب الفرعون، وأكثر إقبالاً على عقيدة التوحيد ، وأصدر الفرعون قرارات هامة مثل تعيين حور محب قائداً عاماً للجيوش، و«مرى» كبيرا للكهنة، وأراد الفرعون أن يخطو خطوة أخرى إلى الأمام فى مشروع الدعوة الجديدة ، دعا كبير الكهنة المخلص «مرى» إلى لقاء سرى ، وطلب من نفرتيتى الحضور.

قال لـ «مرى رع».

– اجتمعنا من قبل – فى زمن والدى – أكثر من مرة ، وكاشفتك بما فى قلبى وعقلى نحو آمون – رع والآلهة المتعددة ولمست منك تفهما فاجأنى وأسعدنى، وقد جاء اليوم الذى نعمل فيه ، من أجل هداية الشعب .. فكيف نبدأ ، ومتى نجهر بالدعوة ؟..

– أشكرك يامولاي علي ثقتك .. فى تصورى أن نمهد للفكرة بين الناس عاماً أو عامين وأن نستميل إلينا بعض الكهنة من الشباب قبل أن يغرقوا فى زيف التقديس والثروة.

لمعت فى خاطر نفرتيتى فكرة ألقتها بعد تدبر؟

– لدى اقتراح سيسمح لنا بالتفرغ للعبادة ، ويؤمّن الذين يتبعوننا .. ويتطلب الأمر استدعاء «سوتى» كبير المهندسين..

قال الفرعون فى صوت خفيض محذرا:

– المزيد من القصور أو بناء الأسوار سيبعد الناس عنا وعن

Looloo
www.dvd4arab.com

أفكارنا ، وبصراحة يؤرقنى أن أعيش فى قصر بينما من الرعية من يسكن الجحور، متى تتضاءل الفروق ، ومتى أعلن الناس باسمى الذى اخترته لنفسى وهو أخناتون؟

قال مرى :

– كم أنت عظيم يامولاى اخناتون .. لسوف نواجه صراعاً مريراً ..

قالت نفرتيتى مبتسمة:

– ما أعنيه ليس بناء قصر أو سور، وإنما بناء مدينة جديدة تزيد من عمران مصر، فى المكان والعقيدة، تجمع فيها المقربين وتكون نواة لانطلاق الدين الحق، وتكون متكاملة بتجارها وصنّاعها وأسواقها وحراسها ومعابدها ، ولا يعنينى المبالغة فى فخامة الأبنية فبناء العقول هو غايتنا الأولى..

ربت اخناتون على كتفها إعجابا ومودة:

– فكرة ملهمة .. يامليمتى الجميلة ، ولنبدأ من الآن..

عقّب الكاهن «مرى» ، الذى أوصى بحذف كلمة رع من اسمه.

– إنها فكرة رائعة ، ستمكننا من تشييد معابد جديدة خالية من دنس المعابد الحالية .. بوركتما ، لنصلى الآن صلاتنا الخاصة.

اعتدل اخناتون ورفع وجهه باتجاه الشمس قائلاً، وإلى جواره نفرتيتى، ومن خلفهما «مرى»:

– إلهنا الأوحد آتون .. يا إله مصر، وكل بلاد الدنيا، كل الأرض والشمس بعض قدرتك..

أنت يا آتون الحى الذى كنت فى أزلية الحياة..

اشعتك تحيط بالأرض حتى نهاية جميع مخلوقاتك، وأنت

تهدى البشر لدعوة ابنك المحبوب الفرعون، وبادرت نفرتيتى بدعائها:

كل إنسان لديه قوته ، وأيامه معدودات..

وإنك تضع كل إنسان فى موضعه..

وقد خلقت الناس أمماً مختلفين..

وأنت تخلق النيل فى العالم السفلى.

وأنت تأتى به كما تشاء..

ليحفظ أهل مصر أحياء.

إنك تخلق الفصول يا آتون العظيم.

لأجل أن ينمو كل ما صنعت..

وفى صوت عريض وقور قال «مرى»..

– ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك اخناتون ، لقد جعلته عليماً بمقاصدك وبقوتك.

العالم يعيش بصنيع يديك.

وتعبدك كما ينبغى .. المخلصة لك.

محبوبة اخناتون الزوجة الملكية نفرتيتى..

ياآتون.

أنت الأب والأم لكل من خلقته.

تساءل اخناتون .. وجبينه مقطباً:

– وهل يدرك الناس ، ماتعنيه بقولك : حبيبك ولدك اخناتون.. رغم قولنا بالإله الواحد أتون:

– الفكرة واضحة تماماً، فنحن نقول أيضاً: ياأتون .. أنت الأب والأم لكل من خلقته..

اطمأن اخناتون قليلاً .. وأنهى اللقاء وكلمات ومضت فى خاطره:

Looloo
www.dvd4arab.com

ليكن اسم المدينة «إخناتون» (أفق آتون) ليباركها آتون.

واستدعى اخناتون خادمه الأول «دود» وكلفه بالتنبيه على كل من «محو» رئيس الشرطة و«معي» وزير الدولة، وحور محب قائد الجيوش ، وسوتى كبير المهندسين لحضور اجتماع طارىء عصر الغد.

وبالغ «دود» فى الانحناء لاخناتون ونفرتيتى، وازدحمت نظراتها الحانقة إليه بتساؤلات ممزوجة بالريبة ، لأنه ينصت إنصات من يفكر ويختزن، وليس إنصات من يسمع ليلبى.

وبعد أن اختفى «تووت» فى الدهليز الطويل قدّم لهما الساقى الخاص «بارت نفر» شراب المساء، ثم رقصا رقصة الحب والأمل.

- ٧ -

إلتقى اخناتون وزيره «معى» وقواده، وطرح عليهم تجنيد كل الإمكانيات للإسراع ببناء المدينة الجديدة التى استقر رأى اخناتون ونفرتيتى على اختيار موقعها فى تل العمارنة لتحل محل العاصمة طيبة.

قال المهندس سوتى:

– لكنها ستكون مدينة صغيرة المساحة إذ لن تزيد عن خمسة أميال طولا وأقل من الميل عرضا..

قاطعه محو رئيس الشرطة :

– هذا أفضل، فهى تطل على شاطىء النهر، كما تمكننا من تحقيق الأمن الكامل لمولاى الفرعون وأسرته.

اعترض اخناتون قائلاً :

– العدل يامحو يحرس صاحبه..

– ياسيدى ، حتى الأنبياء لهم أعداء ، وحمايتك هى غايتنا جميعاً.

– لتكن غايتكم حماية الشعب وليس حماية الحاكم، فللحاكم إله يحميه إذا كان صالحاً..

هز القائد حور محب رأسه مرتين مؤيداً:

– مولاى .. هذا المكان يتيح لنا اتصالات أيسر بجيوشنا خارج مصر ، كما يقطع الطريق على أى جاسوس يتربص بنا أو أى متسلل.

برقت عينا «سوتى» بفكرة مفاجئة فاختطف الكلمة:

– يامولاى .. أقترح أن نستغل الصحراء الشاسعة المواجهة للمدينة لإقامة هرم أكبر من هرم خوفو يبقى على مدى التاريخ مخلداً اسمك وذكرك..

احتقن وجه اخناتون ، وخبط بيده على مسند كرسيه الذهبى قائلاً:

– أحب أن تخلدنى الأفكار وليس الأحجار.

– وراء كل هرم فكرة..

– ياسوتي .. ليعمل الجميع لخير الجميع وليس من أجل فرد واحد..

– أمرك يامولاى..

– نسقوا معا لتخطيط المدينة وتحصينها و.. الآن يمكنكم الانصراف ولينتظر حور محب.

بعد لحظات .. انفرج باب البهو الكبير وأطلت نفرتيتى أخاذة العينين ملكية الخطوات ومن ورائها يلوح ظل «دود» استدرات إليه فى ضيق:

– «دود» .. سأستدعيك عندما أريد.

Looloo
www.dvd4arab.com

– معذرة مولاتى .. كنت أنتظر أوامر جلالتك..

تفرست فى وجه حور محب وما يشى به من خبث وتدبير .. واخناتون يسهب فى شرح مبادىء الدين الجديد ، وكيف أنه يثق فى حور محب وفى رحابة عقله وقدرته على التمييز واستقبال الفكر الجديد طالما هو مقنع ومنطقى، وأنه فى مرحلة قادمة وشيكة سيتحمل عبء نشر هذه الدعوة فى صفوف الجيش تدريجيا..

أسهمت نفرتيتى بتفسير غوامض الفكرة والثناء على قرارات حور محب البارعة المستنيرة لكسب حماسته لعقيدة التوحيد، ..... أبدى حور محب موافقة لم يفلح فى إخفاء فتورها ... وانعطف بالحديث إلى مشكلات الجيش المصرى فى آسيا وعدم تقدير الوزير «معي» لخطورة الموقف وتقاعسه عن إمداد الجيش بمتطلباته.

قالت نفرتيتى لتعيد حور محب إلي دائرة العقيدة أملاً فى المزيد من ولائه:

– الفرعون يعتمد على قيادات الشباب وفكرهم، ويهمه أن تنجح فى نشر الدعوة، وأن تخبره بما تنجزه بشكل مباشر.

– هذا لن يريح الوزير «معى» .

رد الفرعون:

– بابى مفتوح لك.

– سأكون دائماً تحت طاعتك..

غادر حور محب المكان..

قال اخناتون:

– هذا القائد الشاب هو الأذكى والأقوى، وضمه إلى عقيدتنا يفيد كثيراً.

– ضع فى حسابك أن طموحه واسع ولا ندرى له حدودا..

Looloo
www.dvd4arab.com

– لو أسأنا الظن بكل من يحيط بنا وقعنا فى مأزق لا حل له ، وعلى أى حال لا يكفى أن نعرف أحوال الناس من التقارير المرفوعة لنا.

– أتمنى أن نلمسها بأنفسنا ، ولن نستطيع ذلك إلا بالاحتكاك المباشر، كأن نتخفى ثم نسير بين الناس لنرى ونسمع..

– فكرة بديعة غير مسبوقة ، ولنبدأ الآن .. فالليل هو الوقت الأنسب، سأرتدى لباس تاجر دمشقى.

– وأنا سألبس باروكة وأغيرملامحى بالمساحيق.

– سيحاسبنى آتون على كل ألم وظلم وحرمان وفساد يستشرى بين الناس.

أعلن «دود» مجيء «عاى» والد الملكة ، فاقتربت من الباب لتكون فى استقباله .. آلمها أن تراه متعباً حزينا .. قبّلت نفرتيتى يديه وجبينه وشدّت على يديه فى محبة وعرفان..

قال «عاى» للفرعون : لى رجاء فرضته ظروفى ..

قاطعه الفرعون:

– قبل أن أسمعك أخبرك واخبر نفرتيتى بأننى اخترتك رئيساً للوزراء .. فأنا فى حاجة إلى حكمتك وإخلاصك ..

ابتسمت نفرتيتى للمفاجأة السارة .. بينما سارع «عاى» بالرد:

– شكراً لثقتكم الغالية .. لكننى أتيت لأعتذر عن القيام بأى مهام وظيفية لاعتلال صحتى، ولأتفرغ لعبادة آتون .. أكرر شكرى واعتذارى .. هذا هو الأفضل لى ولكم وللناس.

نظر الفرعون إلى نفرتيتى حائراً .. فأومأت بالموافقة تلبية لرغبة أبيها ، فقبل الفرعون الاعتذار على أن يكون مستشاراً له فى شئون الحرب، وأمر «دود» باستدعاء طبيبه الخاص بنشو للعناية بصحة «عاى»..

ولم تمض ساعة حتى كان الفرعون والملكة يعسّان بين الناس ، ويعلقان على كل شىء، ويملأ الأسى قلبهما كلما رأيا شخصاً فقير؟ أو مريضاً .. عندئذ شعرت نفرتيتى بأنها أقرب ما تكون إلى اخناتون .. احتضنت يده بيدها وهى تهمس:

– كم أنت رائع يا زوجى العزيز ، ما أسعد شعبك بك.

– أنت نور طريقى وعقلى ورفيقة عمرى وإشراقة روحى.

وعلى شاطىء النهر رأت صديقتها الأولى «بنرى» تهرول، فرحت .. وكانت تناديها .. كلا .. ليس الآن .. تباطأت نفرتيتى وسددت بصرها تجاه الماء حتى لاتتعرف عليها صديقتها التى تجاوزتهما .. داعبها الحنين إليها وغمرتها ذكريات الطفولة والصبا..

– ٨ –

كأنما أشرقت الشمس بليل، فردت «بنره» جناحيها لتطير إلى نفرتيتى التى طلبت مقابلتها فى القصر الملكى.

كان لقاؤهما إبحارا جميلا إلى الماضى، رفضت نفرتيتى أن تخاطبها «بنره» بـ «مولاتى»، وألحت عليها أن تستمر إلى جوارها فهى تفتقد الصديقة الطيبة، وأصدرت أوامرها بتخصيص مقر دائم لها بالقصر، وعندما أخبرتها «بنره» بأنها تزوجت من «حويا» منذ أشهر لامتها بشدة لأنها لم تدعها إلى حفل زفافها ..

سألتها «بنره» سؤال من يعرف الاجابة :

– وهل تحضر الملكة زواج واحدة من الشعب

اجابتها نفرتيتى فى كلمات جازمة :

Looloo
www.dvd4arab.com

– بالتأكيد .. كنت سأحضر ، فأنت صديقتى، اعلمى أننى لم أتغير وزوجى يشجعنى على ذلك، اننى أكره الغرور أو التعالى ومن خسر حب أهله وناسه فقد كل شىء .

أنصتت «بنره» للكلمات متعجبة، وتداعى إلى خاطرها ما يحكيه الناس عن ظهور الفرعون والملكة فى مناسبات كثيرة وسلوكهما البسيط التلقائى، والصور الطبيعية التى نحتها لهما المثالان «بك» و «أوتو» .

تضاعف حب «بنره» لصديقتها الملكة، واشتعل القلق فى صدرها ..

ماذا لو نفذ المحب القديم «إبى» ما تفوه به أمامها وأمام زوجها أكثر من مرة من كلمات الانتقام ثأر الهواء الضائع ؟

وماذا لو تفجرت ثورة المعارضين لديانة اخناتون ؟

وماذا لو تابع ملك «خيتا» انتصاراته فى آسيا ؟

لم تستطع كتمان هذه المخاوف، فطرحتها أمام صديقتها التى شكرتها على صراحتها .. وقبل أن تفترقا صارحتها نفرتيتى بأنها حامل فى الأشهر الأخيرة، دعت لها «بنره» بطفل جميل يلبس التاج وهو رضيع .

لم تنم الملكة طوال الليل .. هاجمتها محاذير «بنره» فى أحلامها، فزعت أكثر من مرة، أيقظت اخناتون وشرحت له ما يؤرقها .. لم يكترث كعادته، وغط فى نوم عميق كأن الأمر لايعنيه.

لم يهدأ قلقها حتى الصباح .. استدعت العرّافة، أمرتها أن تحدثها عن اخناتون .. قالت لها العرافة ..

هناك خطر يحيق به

هناك خطر يحيق به

هناك خطر يحيق به

وكان تعليق اخناتون محبطا .. قال :

كل إنسان يحيق به خطر ..

بل أمر «دود» بإعداد العربة الملكية، وانطلق فى رحلة صيد ترافقه فيها الملكة، لعلها تنسى أفكارها التى تطاردها فى صحوها ومنامها ..

قالت فى كلمات محددة :

– لابد أن تكلف قائد الشرطة «محو» بتشديد الحراسة عليك..

– هذا سيباعد بينى وبين الشعب الذى نجحنا فى الاقتراب منه .. أصارحك .. متعتى أن يحيط بى دفء شعبى..

– ما قلته لك ليس مجرد أفكاراً بل حقائق محتملة التنفيذ ..

ابتسم ابتسامة هائلة راضية وهو يلمس بطنها برفق قائلا :

– ماهو رأى الفرعون القادم فيما يقال.

– ٩ –

شهدت السنوات الخمس التى سبقت الانتقال إلى العاصمة المقدسة اخناتون (تل العمارنه) حدثين سعيدين كبيرين :

لقد أنجبت نفرتيتى الطفلتين الجميلتين ميريت، ومكت.

وتم إلحاق «إبى» بإحدى فرق الجيش على حدود «طيبة»، ولم تعد الملكة تتعرض لنظراته الحادة الغاضبة كلما ظهرت إلى جوار اخناتون فى المناسبات العامة أو أثناء وجودهما فى المعبد الكبير.

وفى الأسابيع الأولى لنقل العاصمة رحلت الأجهزة المعاونة وأصحاب المهن المختلفة وبعض الموظفين وأسرهم، ثم انتقل الوزراء

Looloo
www.dvd4arab.com

وكبار رجال الدولة ..، وبدت اخناتون كأنها مدينة الأحلام بما فيها من زينات واحتفالات، والمعابد تخلو من تماثيل آمون، وفى مداخل المدينة وعلى الجبل رشقت لوحات عظيمة نحتت فيها كلمات الترحيب ومعلومات عن المدينة وصورة للملك والملكة وهم يتعبدان للإله آتون، وعلى مرمى البصر تبدو الجبال والمراعى ومجرى النيل ..

وصل موكب اخناتون .. اخترق شوارع المدينة الرئيسية ، وعبر بحى مساكن العمال والموظفين ومراكز الصناعة، وتلألأ القصر الملكى على مقربة من المعبد الكبير يحفهما شاطىء النيل من جانب وبيوت الكهنة من الجانب الآخر .

المدينة فى حالة عرس استثنائى ، وعربات الموسيقى طليت أعمدتها الخشبية بالألوان الحمراء والخضراء .. تتجول فى شتى الأنحاء.. تعزف الألحان التى يرقص الناس على أنغامها..، وتواجدت وحدات رمزية من العجلات الحربية تتحرك فى المقدمة .

أخيرا .. يتنفس الحلم على الأرض ويمشى على قدمين .. مدينة تعبق بروائح الإيمان والتوحيد... رحب بالإقامة فيها المؤمنون بآتون .

ولم تنس الملكة صديقتها «بنره» التى سكنت قصرا صغيرا على مرأى من القصر الكبير .

وكان رائعا مشهد اخناتون ونفرتيتى وميريت ومكت يركبون العربات الملكة الذهبية فى طريقها إلى المعبد، فى حراسة عدد قليل من الجنود والناس من حولهم .

وأمام العربة يظهر من وقت إلى آخر رئيس الشرطة «محو» يدفع

Looloo
www.dvd4arab.com

الناس بيديه، إلا أن الناس لايأبهون به، ويتدافعون نحو حاكمهم المحبوب والملكة الطيبة المشرقة.

وفى زاوية من المعبد وقف «على» يصلى ويدعو لابنته الملكة بالسعادة ورضاء الآلهة عنها والنجاة من المهالك ..

وأردف اخناتون :

فليمنحنا الخطوة والحب .

وفى فرحة خاشعة تم تقديم قرابين عظيمة من الخبز والجعة والثيران والعجول والماشية والطيور والذهب والبخور والأزهار الجميلة.

وفى الطريق إلى القصر .. تهادى الموكب فى رحاب أحياء المدينة، وبدت واحة نفرتيتى الفسيحة الخضراء يحيطها سور مرتفع تتماوج عليه الزهور، وفى وسط الواحة قاعة استقبال ذات أعمدة مزخرفة أنيقة ، ومقاعد مزخرفة بالخزف والزجاج الملون، وملحق بالواحة معبد صغير لتنفق فيه الملكة أوقاتها منفردة أو مع صديقاتها ووصيفاتها .. ووسط الواحة بحيرة صناعية كبيرة تمرح فيها سفينة صغيرة مزينة بالخشب الملون، وفى الركن الشمالى من الواحة تلمع أحواض النباتات المائية فى الشمس بتكويناتها المبهجة وهى تضم نباتات نادرة مصرية وأجنبية .

إلا أن فرحة نفرتيتى بالمدينة المقدسة كان مشوبا بالرهبة، فلاتزال تدوى فى صدرها أجراس التحذير، لم تستطع صبرا .. استدعت «محو» وأعادت عليه تغافل الفرعون عن المخاطر المتوقعة، وكلفته على وجه الخصوص بمراقبة الضابط «إبى» الموجود فى طيبة، ورصد اتصالات «دود» .

قال محو :

– هل ترى مولاتى إخطار حور محب بما نفعل ؟

– قد لانحتاج إليه .

– وماذا عن كبير الوزراء «معى» .

– قد يفسد ما نرتبه، فسيقفز مثل القردة إلى خلوة الفرعون ويجسد له ماهو صغير ، ويصغّر ماهو ضخم ليحوز على رضائه .

– حقا .. إنه يرتكب أى شىء يدر ربحا، وينافق أى إنسان ليستمر فى السلطة .. إنه فاسد كبير .

وعند انصراف «محو» فوجىء بكبير الوزراء «معى» يطلب مقابلة نفرتيتى .. حياة بإيماءه ساخرة ومضى .

وقف «معى» أمام نفرتيتى كالتلميذ فى حضرة استاذه وبيده صندوق .. انتابه شىء من الارتباك وأبدى كثيرا من التزلف وافتعل الانحناء وكلمات التفخيم والتعظيم والثناء، وحكى عن اكتمال الإعداد لحفل الغد المشهود الذى يعلن فيه الفرعون الدين الجديد رسميا وأن آتون هو الإله الواحد لسائر البلاد، وقد دعى للحفل التاريخى العديد من كبار رجال الدول فى آسيا .. ثم .. صمت بغتة .. فالملكة متجهمة .. فهل هو المقصود بذلك .. ازداد تلعثما .. قال :

– مولاتى .. جئت طمعا فى كريم موافقتك على أمور آمل أن تروقك .

– ولماذا لا تطرحها على الفرعون مباشرة .. أمور الدولة من شأنه هو .

– معذرة مولاتى .. إنها تخص مولاتى بالأساس .. إننى .. إننى .. اقترح إطلاق إسم مولاتى على الميدان الرئيسى فى المدينة كما سنعلق صورا لك بصحبة مولاى الفرعون على جدران المعابد وعلى واجهات المشاريع الكبرى فى المدينة، كما أطلب إلى موافقة مولاتى

www.dvd4arab.com

على حضور افتتاح مدرسة تدريب النساء، ولدى مشروعاً متكاملاً لإنشاء هيئة كبرى لتعليم وتشجيع الأطفال الموهوبين تكون تابعة لجلالتك شخصيا .. حتى يكون اسمك وصورتك فى كل بيت وكل مكان على مر العصور .

– بل أريد أن تطلق على الميادين أسماء العلماء الكبار، أما افتتاح المدرسة فهو اختصاص وزير التعليم ومشروعات الطفولة هى من اختصاص وزراء آخرين عليهم أن يقوموا بها على خير وجه أو يرحلوا .. أما اسمى فأريده أن يكون فى قلب الفرعون وفى قلوب الفقراء .. إذا كان لديك فائض من المال فانفقه مباشرة على الفقراء، وليس لإنشاء وظائف للدعاية .

– معذرة مرة أخرى .. فأنت قدوتنا .

– الحق هو القدوة ..، وليلعب كل إنسان دوره كاملا ولتنسب المشروعات إلى أصحابها الذين فكروا فيها .

– طلب أخير يا مولاتى .. أرجو تعيين «تاميت» قريب مولاتى وزيرا للتعمير وسأزكّيه لدى مولاى الفرعون .

– وهل أخطأ الوزير المهندس «سوتى» لنستبدله بآخر .

– كلا .. ولكن لنضمن مزيدا من الولاء .

– سوتى هو الأكفأ .. لاتفتح هذا الموضوع مرة أخرى .

– دائما ؟. أتلمس رضاء مولاتى .

– أرجو أن يكون حديث الناس عن الفساد وصفقاتك السرية غير صحيح .

– إدعاءات .. مجرد ادعاءات أعداء النجاح والحاقدين، كما أن هؤلاء لايؤمنون بأتون ، سأطاردهم حتى يؤمنوا .

– كلا .. ليكن الإيمان بالاقتناع كما يريد الفرعون وليس بالقهر والمطاردة .

– وماذا نفعل مع «بتاح مس» كاهن آمون الأعظم، إنه يعلن تشبثه بـ آمون .. بل ويتهمنا جميعا بالكفر .

– له ما يريد، ولكن بعيدا عن معابدنا .

اختلس «معى» النظر إلى صندوقه الأنيق ثم إلى الملكة، سعيد هو من يحظى برضاء الملكة، فهى أقصر الطرق إلى الفرعون .. وإلى البقاء فى الوزارة طويلا، كما أن جمالها وحكمتها وتواضعها جعلها محبوبة من الشعب ، وربما بعد سنوات تكون هى الآمر الناهى.

كما كانت الملكة «تى»، والنساء كل النساء يحببن الذهب والجواهر ويرغبن فى الزيادة .. وهذا الصندوق مليء بجواهر نادرة، لابد أنها ستعجب الملكة .. وعندئذ لاتلتفت إلى أملاكه الواسعة وثرواته الضخمة التى جمعها بكل الأساليب المشروعة وغير المشروعة.. وحدّث نفسه : من يصدّق أن الفقير النكرة الذى كان يصفه زملاؤه بـ «الندل» هو نفسه الوزير الأول ورئيس الوزراء «معى» ، وهو نفسه يجلس الآن بين يدى جميلة الجميلات المشرقة نفرتيتى، ليمت بغيظه، إذن كل من يلقبه بالمنافق الكبير كما تناهى إلى سمعه ..

طالت وقفته وشروده ، فزجرته نفرتيتى بعينيها، فتساقطت من فمه كلمات مترددة وعلى شفتيه بسمة راجفة قال :

– مولاتى، وجودك بيننا إحدى النعم الكبرى، وبأنفاسك تحيا مصر وتعبيرا عن تقدير الناس، وبإخلاصى الشخصى لعظمتك

www.dvd4arab.com

ولعظمة الفرعون إلى الأبد، أهدى إليك هذه المجموعة من الجواهر النادرة .

سكت ، وحملق ، وترقّب .. فقد تنادى الملكة وصيفتها لكى تأخذ الصندوق ، لكنها صمتت لحظات مرت كالأيام .. حدّجته بنظرات طويلة ساخطة جعلته يتصبب عرقا، ثم أمرته أن يحمل صندوقه ويرحل .

استدار «معى» يجر خطواته الثقيلة المضطربة .. إلا أن الملكة نادته وقذفت فى وجهه قفازا جديدا من الكلمات الجارحة :

– ماهو مصدر هذه الهدية ؟

– من أموال الوزارة يا مولاتى .

– إذن تعاد إلى خزانة الدولة.

- ١٠ -

تسلل الليل، وطمس النور البرىء، وتسلل إلى بيت «إبى» بأطراف مدينة اختاتون للمرة العاشرة أشخاص برعوا فى إخفاء ملامحهم كأنهم ذاهبون إلى حفلة تنكرية .

استقبل «إبى» الكاهن الأكبر «بتاح مس» الذى بكّر بالحضور .. لقد اهتز عرش الكهانة من تحته، ولن يكون ذا ثروة ونفوذ وهيبة بعد اليوم، وقد رتب «بتاح مس» هذا الاجتماع فى بيت «إبى» حتى لاتكشفهم عيون «محو» . أما «إبى» فلم ينس لحظة أن الفرعون سلب منه عرش الحب واختطف حبيبته نفرتيتى التى تناست «إبى» وأهملته تماما بل وأبعدته إلى طيبة، ولأول مرة يغادر طيبة دون إخطار رؤسائه إمعانا فى التخفى .

رفرفت فى أنحاء المكان بعض الخفافيش، وسمع نقيق الضفادع ، وبعد لحظات وصل «دود» و «حور محب» و«حوبا»

Looloo
www.dvd4arab.com

إنهم على اختلاف أعمارهم ومناصبهم، توحدهم مشاعرهم، رفضهم التام للعقيدة الآتونية، فهم على ولاء كامل لآمون رع، لكن «دود» ادعى الاستجابة لدعوة اخناتون حتى يحتفظ بوظيفته، وكذلك «حور محب» الذى آثار حيرة نفرتيتى، فهو لايعترض علانية على الديانة الجديدة ولايتحمس لها فى الوقت نفسه، و«حور محب» يوقن بانهيار الدولة الوشيك، وقد شحذ هذا طموحات كبيرة دفينة لديه فى حكم مصر، وما يجمّده هو إنعدام ثقة نفرتيتى فيه، لكنها هى والفرعون لايجدان بديلا لقدراته العسكرية وعقليته الفذة التى حمت مصر من اعتداءات كثيرة فى آسيا .

قال «بتاح مس» .

– أنتم أحبابى وأحباب آمون رع ، ولن يكون آمون راضيا عنا إذا سمحنا للفرعون بنشر خرافاته وتحقير آلهتنا ، فعلينا أن نتخلص عاجلا من الفرعون وزوجته الأكثر تعصبا للكفر ، فغدا يعلن الفرعون رسميا ونهائيا القضاء على ديانتنا وديانة آبائنا .

ارتعشت شفتا «إبى» قائلا :

– لن نسمح لهما ..

نحت «دود» كلماته فى روّية وإصرار :

– لدىّ خطة كاملة للقضاء عليهما .

أكمل «بتاح مس» رؤيته، وقد شملت نظراته «حور محب» :

– .. بعد ذلك ، نعلن إرادة آمون بأن يكون قائدنا الحبيب حور محب فرعونا لمصر ، ويسند لكل منكم وزارة هامة .. أما أنا فأرجع إلى وظيفتى الأولى كبيرا للكهنة .

انتبه «بتاح مس» إلى سكوت «حويا» وعينيه الزائغتين :

– مالك يا «حويا» .. فيم شرودك ؟

– أبدا يا سيدى الكاهن الأكبر .. فوجئت بسرعة القرار ، لكننى ملتزم أنا وزميلى «إبى» بدورنا المحدد سلفا للسيطرة على القصر الملكى، ولنا الكثير من الأعوان المخلصين .

خيّم الصمت على المكان، وترقبوا ما تجود به شفتا «حور محب» الذى بدا جامدا وكأنه لم يسمع شيئا ، قال :

– فى حب آمون رع و«بتاح مس» حضرت، ولا أعرف ماذا يمكن أن يحدث بعد نجاح خطتكم، وأنا لن أكون عائقا أمامكم، وثقوا فى تكتمى للأمر .

انسحب «حور محب» وترك علامات استفهام كثيرة، لكن أحدا لم يشك فى إخلاصه لآتون ووعده الصريح لهم ..

واصلوا وضع التفاصيل الدقيقة، فبعد عودة الفرعون والملكة من المعبد غدا إلى القصر يقدّم لهما الساقى «بارت نفر» الشراب السام بإشراف «دود» ، وماهى إلا ساعات قليلة حتى يتغير بعدها وجه التاريخ .

استوقفهم «إبى» وأدلى بتعديل مباغت :

– إن ما يهمنا الآن هو القضاء على إخناتون ، فهو حامى حمى الدين، أما نفرتيتى فحسابها معى، وربما ارتدّت إلى عبادة آمون .

بادر «دود» بقوله مرحبا :

– سيسهل هذا مهمتى كثيرا، ويخفف من رد الفعل الشعبى.. أيدوا الفكرة، وأقسموا جميعا على ما اتفقوا عليه .

تحت جنح الظلام تفرقوا، وقد امتلأت نفوسهم بالأمل والخوف معا إلا «حويا» فكانت له حسابات أخرى، إنه يحب زوجته

Loolee www.al-maktabeh.com

«بنره» ، ولم يخف عنها شيئا طوال حياته معها، وسوف يكون ألمها عظيما إذا دمّرت حياة صديقتها نفرتيتى، أما أحلام الوظيفة فهى ليست بعيدة عنه طالما نفرتيتى باقية على عرش مصر زوجة للفرعون ..، وما لبث أن اعترف «لبنره» التى هزها الخبر بعنف .. على الفور.. هرعت إلى نفرتيتى لتحذرها ، ولم يثنها عن عزمها تردد زوجها وقوله لها :

– إنها الخيانة يا حبيبتى .

قالت فى حروف قاطعة ..

– وهم .. أليسوا خونة وقتلة .

– ستحل علىّ لعنة آمون .

– بل تباركك نفحات آتون .

كان الليل قد أوغل ، وهدأت الأطيار، وسكنت المدينة .. تتستر على أسرار أهلها .. ورغم استغراق نفرتيتي فى النوم طالبت «بنره» بإيقاظها ، وأطلعتها على المؤامرة .. فأبلغت نفرتيتى رئيس الشرطة «محو» ولم تشأ أن توقظ الفرعون، ففى كل مرة تحذّره تطفو على شفتيه ظلال ابتسامة ولايكاد يرد، كما أنها تريد أن يكون الغد يوما رائعا لاتكدره شائبة لأنه اليوم الأجمل والأهم فى حياتهما .

– ١١ –

كان صباحا مختلفا، ولنور الشمس رونق فاتن، والحياة تدب فى التراب، والأشجار الخضراء تتمايل طربا، والنسيم يعزف لحنا يدغدغ المشاعر، والفرعون صاحب هذا المهرجان الذى تباركه السماء يموج فى نفسه الأمل والاصرار على خطوة سيذكرها التاريخ إلى الأبد، ونفرتيتى الجميلة المشرقة تقاسمه تلك

الانفعالات، وتخفى ما يعكر صفو هذه الفرحة .. يميل على وجهها ويقبلها فى جبهتها قائلا :

– أخيرا يا زوجتى الجميلة أتت .. أتت اللحظة الحاسمة .

ضمّت يده بيديها :

– آتون معنا .. لن يخذلنا ،، فنحن فى سبيله نعمل ونتحمل .

وصلا إلى باب القصر حيث تنتظرهما محفة ذهبية الإطار جلسا فوق المحفة المزركشة ، وحملها على الأعناق ثمانية رجال يرتدون رداء موحدا لامعا، ويمشون فى خطى منتظمة موقّعة، ومن ورائهم عربات الأميرات ، ثم بعض جنود الحرس المسلحين بالعصى، وكاهن يحرق البخور أمام المحفة، وطوال الطريق تطل نفرتيتى على الناس وتنثر ذهبا وفضة على رؤوسهم وهى تحييهم، حتى بلغوا المعبد الكبير .. تأهب جمع كبير من رجال الدولة فى مصر وغيرها لاستقبالهما وحضر نائبا عن ملك خيتا ابنه الأصغر «شبليو» رغم ما بين خيتا ومصر من مشاحنات وصراعات، فالدين الجديد من أجل كل البشر فى كل مكان.

حلقت فى الآفاق أسراب من الغربان واليمام والعصافير الملونة، تشارك فى الحدث العظيم كأنها مدعوة لحضوره ، وتمتعت العيون بتشكيلاتها الخلاّبة فى الفضاء حتى قال أحد الكهنة :

– هذه الطيور مأمورة بما تفعل، إذا لم نشاهدها تقوم بذلك من قبل ، ولم يحدث أن تجمعت هذه الطيور البديعة .

هكذا في وقت واحد ..

صعد الفرعون في وشاحه الذهبى درجات السلم الأربع إلى المنصة وقد برز الرمز الجديد للإله آتون .. قرص الشمس في صدر

Looloo

المكان تخرج منه أشعة متفرقة ، وكل شعاع ينتهي طرفه بيد بشرية لتتضح سيطرة آتون علي كل الأرض وكل البشر ..

قال الفرعون ، والإنصات يعم الناس والأشياء :

– نحن الآن وفي كل آن نكون في حضرة خالق الشمس وخالق كل شئ الإله الواحد آتون .. آتون إلهنا ولا إله غيره ، وقد هدانا آتون إلى أن نتطهر من ذكر الآلهة الوهمية ، وحورس ، وآمون ، وموت ، وخنسو وغيرهم .. ويكون اسمى من الآن .. اخناتون (آتون مسرور) ..

سنصلى جميعا لآتون وحده ، ومن اليوم تُغلق معابد آمون ..

شق حشد الحاضرين كبير كهنة آمون «بتاح مس» واقتحم مجلس آتون مثيرا جلبة وهمهمة ، قال :

– كلا .. أيها الفرعون ، إنما الالهة هم آمون وغيره ولن أتخلى عنهم ، وما تقوله ضد عقائد آبائنا وأجدادنا.

– لنا عقول تفكر ، وعيون تبصر ، ولو كان أجدادنا بيننا الآن لصدّقوا على ما نقول به ، فالحق بيّن والباطل بيّن .

– كلا .. الصواب هو ما نادى به الآباء ، وإننى أدعوك للهداية..

– «بتاح مس» نحن الآن فى عام ١٣٤٥ (قبل الميلاد) ولن نرجع إلى الوراء ، هذه هى عقيدتنا ، وإذا خالفتها لا مكان لك بيننا .

– نعم .. لا مكان لى بينكم ، وإننى راحل اليوم ، وأعلم أن الآلهة لن تصفح عنك ، وانتقام الآلهة قريب .

واستدار «بتاح مس » وغاب عن الأبصار ، وتهيأ اخناتون للمحراب ، ومضى يصلى :

Looloo
www.dvd4arab.com

أنت فى السماء ، ولكن أشعتك فوق الأرض
أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظيم
أشعتك فوق ابنك المحبوب.
وحينما ترسل أشعتك فإن الأرضين تكونان فى فرح .
... أخذ الكاهن الأكبر «مرى» موقعة فى المحراب ، ونطق فى صوت عميق مهيب :
يا آتون .. يا خالق كل شئ.
قوتك وبطشك يسكنان قلبى
فأنت العائش الأبدى
لقد خلقت السماء العليا لتشرق فيها .
لأجل أن تشاهد كل ما صنعته..
ثم ركع مرى ثلاث مرات فى ختام دعائه وتراتيله ..
وكان «شبليو» أكثر الحاضرين تفاعلا مع الكلمات والدعاء حتى أنه ردد الأدعية بصوت عالٍ لافت أدهش نفرتيتى.
تنفست نفسا عميقا فالديانة المقدسة تجد قلوبا مهتدية خارج مصر أيضاً ، لعل «شبليو» سمع ووعى وآمن بعقيدة آتون قبل أن يأتى على يد الدعاه الذين بعث بهم أخناتون ولهذا أوفده أبوه الملك «شبليو ليوما» للمشاركة.
أما «معى» فبالغ فى الابتهال وعينه على الفرعون على أمل أن يراه ...
ورغم آلامه وقف «عاى» فى الصفوف الأولى فقد طرق الإيمان قلبه وعرف حلاوته.
بينما وقف «حور محب» صامتا ساكتا وفى رشاقة تهادت

نفرتيتى فى ثوبها الكتانى الأخضر ووضعت باقات من أزهار البشنين واللوتس أمام الناووس الخشبى فى صدر المعبد.
وأشار اخناتون إلى الكاهن الأكبر «مرى» أن يأتى فمثل بين يديه ، وبين انبهار الناس وضع إخناتون ستة أطواق من الذهب حول عنقه وقال بصوت مرتفع :
الكاهن الأكبر مرى
أنت حامل أسرار آتون وأسرارنا
وخازن بيت الغلال ، توزعها بين الناس بالعدل
تستحق أن تكافئك كل يوم
هنيئا لك مرى..
هنيئا للمخلص الأمين
ردد الجمهور : هنيئا للمخلص الأمين.
وخفت صوت حور محب ومن ورائه «إبى» الذى أفلح فى إخفاء شخصيته .. وبعد قليل.. ظهر «محو» واندفع إلى الملكة وهمس لها:
– المؤامرة يا مولاتى ، موعدها اليوم ، وقد قبضنا على «دود» وجارى القبض على بقية المتآمرين..
فى التو واللحظة نقلت الصورة إلى اخناتون .. وتقهقر «محو» إلى الوراء قليلا ، وباغت «إبى» بالقبض عليه بمساعدة بعض الحرس .. وتم إنهاء الحفل.
قال محو وهو يلكز «إبى» فى كتفه وظهره..
– مولاى .. مولاتى .. هذا هو رأس الأفعى ، وقد قبضنا على «بتاح مس» مخطط العمليات ، وكذلك الخادم الأول «دود» والعجيب والمؤسف أنه جاسوس آسيوى زرع فى القصر منذ عشرين

Looloo
www.dvd4arab.com

عاما ، وكان يعد العدة لتنفيذ جريمته ، كما قبضنا على شريكه الخائن بارت نفر.

قال اخناتون وهو يتفحص وجه «إبى» :

– ما اسمه ..

قالت نفرتيتى حانقة :

– إنه الضابط «إبى» يا مولاى ، كان يعمل فى طيبة .

سأله اخناتون.

– هل جئت كارها لنا أم كافرا بديننا أم طامعا فى ملكنا .

احتشد وجه «إبى» بالغضب والرعب ، ولم ينطق حرفا .. وأودع «محو» المتآمرين الأربعة سجنا واحداً هازئاً بهم:

– أكملوا مؤامرتكم أيها الأحباب.

★★★

اعترفوا من اليوم الأول للمحاكمة بالمؤامرة ، ولم يبت الفرعون فى الحكم لأشهر طويلة ، فهو يكره عقوبة الإعدام ويحبذ التسامح مع الأعداء، «فعندما تصحو ضمائرهم لن نلجأ إلى تطبيق عقوبة تسلب الحياة».. وكم اتفقت معه نفرتيتى فى هذا الرأى فى التعامل مع أعداء الوطن والدين خارج مصر ، لكن حالة هؤلاء المتآمرين الأربعة تتطلب البتر ليكونوا عبرة لأى غادر خائن..

قالت :

– إن المتآمرين لا يستحقون نعمة الحياة ...

– لا أريد أن ألوث يدى وتاريخى بدماء هؤلاء الجناة ..

إنهم لا يستحقون شرف الموت.

– ولا نعمة الحياة .. لقد استباحوا دماءنا ..

– إنهم فى السجن يموتون كل يوم .. دعينا منهم الآن

Looloo
www.dvd4arab.com

يا حبيبتى ، لقد سرق الحكم والدعـوة من حياتنا أجمـل اللحظات .

– ولم يعد هناك شعر أو تأملات وهما زاد روحنا وحبنا.

– لا يموت الحب وإن توارى إلى حين ..

– لنحتـفل احتـفـالنا الخاص ، ونستنشق أنفاس الحياة الجميلة...

– بدأت أخشى أن تفرقنا الأيام أو تباعد بيننا يد آثمة ظالمة..

– اختر مكانا نعيش فيه لأنفسنا ساعات من الزمن ..

– سنقضى الليلة فى ضوء القمر الفضى على ظهر مركبنا الذهبى فى واحتك أيتها المشرقة دائما..

-١٢-

كان يوم الإعلان المشهود رائعا ، سرت وقائعه فى سائر البلاد فَرَوَّجت لمبادئ العقيدة المقدسة ، ووضعت النقاط على الحروف .. فتـأكـد لإخناتون أن أخـويه «سمنخكارع» و «توت عنخ آمون» المقيمان فى «طيبة» لا يؤمنان بـ «آتون» بدليل عدم حضورهما ، لكنهما لا يكيدان لأخيهما إخناتون فأوصت نفرتيتى بتكرار لقائه بهما وحديثه الهادئ معهما عسى أن يهديهما آتون إلى عبادته.

فرحت نفرتيتى بإخلاص صديقتها «بنره» التى أنقذت زوجها من موت محقق ، وكوفئ الضابط «حويا» زوج «بنرة» بتعيينه وزيرا لخزائن الذهب والفضة..

وبمؤازرة نفرتيتى نجح حور محب فى إقناع الفرعون بإرسال القائد «باخور» على رأس حملة خاصة لإخضاع الثائرين فى سوريا، فجهّز الأساطيل والعربات الحربية ، وحضّر إخناتون وضع الخطة ، وبعد حرب سهلة عاد باخور مظفرا .

ولم يفقد من جنوده إلا عددا يسيرا .. وعلّقت أعلام ولافتات الإنتصار على بوابات المدينة وأبراج القصور إلا أن إخناتون كان ضائقاً حزينا :

قال فى أسى لـ «حور محب» ..

– أهنئك أيها القائد المظفر، لكننى أفضل انتصارا بغير دماء أو ضحايا.

– نحن نواجه بشرا عصاه متمردين لا ملائكة .

– بمزيد من الصبر فى الدعوة نبلغ ما نرجو ..

وحين تدخلت نفـرتيـتى ومـالت إلى رأى حـور مـحب ظل الفرعون على رأيه وعناده ، فالأرض تروح وتجئ أما ما فى القلب فيبقى إلى الأبد ..

طوى حور محب أوراقه ومضى غير قانع بما يُقال ، ولم يجد مبررا لمناقشة ينتهى الحوار فيها بأسف الفرعون لقتلى الأعداء ، ورغبته فى الانتظار حتى يشرق الحق فى قلوبهم.

لكن .. انتـصـار «باخـور» فى سـوريا كـان دلالة على فـهم نفرتيتى.. الصحيح لمشكلات البلاد ، وطرق النجاة منها ، وقد أجل الانتصار انفجار الناس قليلا.. وألحت نفرتيتى على ضرورة إبعاد ومحاكمة الوزراء الفاسدين وفى مقدمتهم المنافق الكبير «معى» لكنهم أمام الفرعون طائعون .

حذاءه ، ويستـدعون الدموع إذا تطلب الأمر ذلك ، يقبلون ويكذبون على الحاكم والشعب معا .. ولا أحد يأبه بأنياب الجوع والحرمان التى تلوح فى الشوارع والبيوت التى تزداد فقرا على فقر، فالداخل يتصدع والخارج يتشقق..

بكت نفـرتيـتى وهى شاخصة إلى الفضاء تستقرئ نبوءات المستقبل المعتمة..

Looloo
www.dvd4arab.com

تسأل نفسها والإجابة داكنة ممزوجة بالضعف والخوف والتردّى..

كلا يا حبيبى إخناتون

كلا يا حبيبتى مصر

أنشد لكما السلامة

وقلبى .. إذا ابتعد عنكما غرق فى الندامة.

آه .. لو أقبلت «تى» ..

أقبلت الملكة «تى» تسرد على ولدها ما رأته بعينيها فى «طيبة» .. إنها آلام ما قبل الإنفجار ، حقّت كلمات وظنون نفرتيتى .. والآن .. أيها الفرعون المهموم بقلوب الناس وعقائدهم إن لبطونهم عليك حقا .. اقرأ أوراق البردى المكومة .. سطورها من دموع المساكين وأنين المظلومين فى سجون «محو» .. إن إصلاح الدين لا ينفصل عن إصلاح الدنيا.

لابد أن «حو» يكذب عليك ، إنه الأجدر بالسجن.. سفينة البلاد تتقاذفها الأمواج ، والارتطام بالصخور هو الاحتمال الوحيد .

الدين ليس هروبا من الحياة بل انغماس فيها وتنقية لها ، ومَنْ ارتضى لنفسه الهامش ، فالهوامش سرعان ما يزول ..

.... تابعت «تى» كلمتها الطويلة لولدها إخناتون وهو ينصت إليها شبه ذاهل ، والضيق يرسم قسمات وجهه ، لكن العودة انكسار ، والتوقف اندحار.

نفرتيتى تحذر وتحذر ولا تيأس ، وهو لا يلتفت إلى كلماتها وكثير من الحب ذاب فى الإلحاح الخاسر.

★★★

يا بنى ، لكى تحافظ على قوتك وانتصاراتك فى الخارج ما أحوجك إلى شعب قوى غنى آمن مستريح فى الداخل، وإذا التفت إلى شعبك بلغتما المجد يا حفيد تحتمس العظيم وأحمس الفاتح .

رد على أمه «تى» :

– ربما كان الفاسدون أقل فسادا من غيرهم ، وإذا كانوا لصوصا فقد سرقوا وشبعوا ويمكن أن نحاصرهم .. فلا خطر منهم الآن ..

– يا بنى .. اللص لا يشبع ، ولايوجد لص يقوّم لصا ، ولولا أنك شبه بنى لأصابتك عدواهم وصرت مثلهم ..

– ما نعرفه أفضل مما لا نعرفه ، وللتجريب مخاطره ..

– يا بنى .. مصر ولاّده ، وفيها كل أنواع الناس والثمر والحجر إن مصر حبلى بالبدائل.

– نصف هؤلاء الوزراء من عهد أبى

– كان أبوك فارسا فقط فى ميادين النساء.

– لا أعتقد أن الفساد كبير إلى هذا الحد وإلا لأخبرونى .

– أعوانك يخدعونك..

– سأغير الفاسد منهم .. لأتفرغ لرسالتى الأولى وهى الدين .

– أنت حاكم ورعاية الرعية وظيفتك الأولى كما أنها من الدين أيضاً ..

– سأحاول يا أمى ..

أحتدت على ولدها واحتجت ، وسارعت بالعودة إلى «طيبة» لتحيا مع ولديها سمنخكارع ، وتوت عنخ آمون .. وقد ودعتها نفرتيتى وفى عينيها دموع.

-١٣-

بدّل اخناتون عددا من الوزراء وكبار رجال الدولة وحين تقرر

Looloo
www.dvd4arab.com

إقصـــاء «معى» عن منصبه تباكى ، وأقسم أن يصبح شخصاً مختلفا ، وطلب فرصة أخرى أمام نفرتيتى ، وعرض الاستغناء عن بعض ثروته للشعب – وفى أعماقه نية تعويض هذه الثروة فى وقت قصير ، والتزم بدعم الجيش بالمزيد من المعدات ووسائل الحرب التى بحّ صوت حور محب فى طلبها ، وقدّم خطة عاجلة لإنقاذ خزانة الدولة من الإفـــلاس ، وتخفيف معاناة الشعب .. نشّط العمل فى مناجم الذهب ، وضيّق الخناق على الأثـــرياء المتهـربين من أداء الضـــرائب، وأرســـل إلى البـلاد الآسـيـوية التـابعـة يطلب متأخرات الجزية ، وأطلق يد حور محب في اتخاذ ما يراه لجلب الجزية ..

★★★

مر الصيف الأول هادئا ، راودت الناس نسمات الإصلاح وإن بقى أنصار آمون متربصين غاضبين يقاومون الدعوة الجديدة فى كل مكان ، واتخذوا من طيبة مركزا للمقاومة..

★★★

وركضت السنوات تحيى أملا وتدفن آخر ، وأضيفت لأجواء القصر الملكى ضحكات ثلاث طفلات رزق الله نفرتيتى بهن ..

استغرقتها أمومتها عن بعض تحولات الفرعون الذى أصبح عصبيا كئيبا ، جفت كلمات الحب فى شفتيه ، ففى كل يوم تنهال على سمعه أنباء التمرد فى الداخل والخارج ، وكهنة آمون يسيئون إليه ، ويخوضون معركة دعائية شرسة لاستعادة مكانتهم الأولى ، والفرعون يأبى أن يهادنهم ، وكان حزنه عظيماً لفقد ابنته «مكت» التى باغتها الموت ، واتسعت مساحات الألم فى نفسه ، ووجد نفسه ينطوى بعيدا عن زوجته الجميلة وبناته الفاتنات.

Looloo
www.dvd4arab.com

وكلما رأت نفرتيتى كبرى بناتها «مريت» فارعة متألقة انشرح صدرها وحلا لها أن تناديها : الملكة أتت.

أمرت نفرتيتى وصيفتها أن تحضر لها اللوحات الجيرية المنحوتة التى صور فيها الفنان «بك» أسرة اخناتون ، واسترجعت مع الصور لحظات الماضى الحلوة.

فى اللوحة الأولى تجلس نفرتيتى إلى جوار اخناتون تقدم زهرة ، وأمامهما «ميريت» – وهى طفلة – تضحك وفى يدها لعبة ، و«مكت» تضع يدها الصغيرة على رأس أختها .. ونفرتيتى تقبلها قبلة حانية .

دخل أخناتون وتنقلت عيناه بين اللوحة وزوجته وابنته «ميريت» التى صارت عروسا فاتنة ، جلس بينهما ، وأحاطهما بذراعيه ، وسأل عن ابنتيه «نفر نفروتاشرى» و «عنخس» اللتين صحبتهما الوصيفة فى جولة نهرية قصيرة .. همس :

«عطر الذكريات تعتقه الأيام».

ضمهما إلى صدره ونظراته مجنحة ترحل إلى البعيد ...

وكما تنزل الأمطار والثلوج على الجسد العارى ، هبطت عليهم هتافات الجماهير بباب القصر..

قال رئيس الحرس مبهوتا ..

– مولاى .. الجماهير ينادون بسقوط «معى»..

قالت نفرتيتى تلوم وتذكر:

– «معى» مرة أخرى !! .. كيف تأمن له بعد ذلك . إنه إهانة لنا جميعا .

دخل «محو» مضطربا .. يستسمح الفرعون أن يقبض على رؤوس المتظاهرين ، وإرهابهم وتفريق الباقين بالعصى ، فمنذ عشرات السنين لم تشهد مصر واقعة كتلك..

قالت نفرتيتى :

– يا مولاى .. لا أحد يصرخ من فراغ ، لنفتش عن الأسباب .

قال محو :

– لا وقت أمامنا الآن .

قال الفرعون :

– رغم كل شئ .. من حقهم أن يتظاهروا .. وإذا قبضنا على أحد منهم أو روّعناهم سيصبنا التاريخ بالتخلف والغباء ، وإن عرفت أنك سجنت أحدا منهم سجنتك بدلا منه .. قل لهم أننى سأكون بينهم بعد قليل .. وأخطر «معى» بإقالته من وظيفته وتعيين «حويا» بدلا منه .. لابد أن نحترم رغبات الناس .

علا صوت الجماهير الهائجة ..

قال «محو»

– سكوتنا .. يحضّهم على تكرار الثورة

– بل يحرضهم ظلمنا وقهرنا لهم ، فالحرية أساس الدين والحضارة.

وقف إخناتون .. أمام المتظاهرين يستمع إليهم ويناقشهم ويشرح لهم مجددا عقيدة آتون ، ويطمئنهم بإقصاء «معى» عن الحكم ، فانطفأت صرخات المتظاهرين ..

★★★

عاد إخناتون إلى غرفة الذكريات لتستقبله مظاهرة حب وتأييد وإعجاب صغيرة.

★★★

اليوم يوم «ميريت» ..

ميريت الجميلة بنت الجميلة التى أتت

Looloo
www.dvd4arab.com

وضعت أباها وأمها فى مفترق صعب ..

لقد ورثت عقيدة أبيها فحسب ، بينما هى تفكر بمنطق الملكات .. فعناء الدعوة لم تكابده ، ولم يكن مطروحا عليها .

اليوم يوم «ميريت»..

فقد جاء الأمير الوجيه «سمنخكارع» قادما من «طيبة» يطلبها للزواج ، راكبا عربته الأنيقة ذات الحصان الأبيض المدلل .. يتبعه ضابطان شرفيان .. فهو ابن امنحتب الثالث ، وهو أحد المخلصين للإله آمون رع وبقية الآلهة الصغيرة ، وهنا تكمن المشكلة..

كيف لعابدة آتون أن تعيش مع ضأل لا يزال يعبد آمون !!

.. فتحت نفرتيتى النافذة ، فغمر الضوء الحجرة .. قالت لأخناتون :

– ربما استطاعت «ميريت» ، أن تهديه إلى ديانتنا ، وتنتشله من غفلته ، ويكون فاتحة لهداية الكثيرين في «طيبة» فهو المحبوب المقرب لكهنة آمون .

– حقا .. هى ذكية عاقلة ووفية لدينها ، لكن سمنخكارع ليس سهلا أو طيعا ، وما أخشاه أن يغلب دهاؤه ذكاءها .

– إنها تراه مناسبا لها ، بل هى متحمسة له .

شاركت ميريت فى الحوار الحائر الملتبس.

– إن قلبى يطمئن إليه ، وسأجتهد لإقناعه بعقيدتنا ..

قالت الأم الملكة :

– أبوك يرعى حرية كل الناس ، وسيسعده أن يترك لك اختيار شريك حياتك..

ابتسم اخناتون، وضم ابنته إلي صدره مباركا لها حياتها المقبلة..

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتدت كل من طيبة واخناتون ثياب العرس والفرحة في زفاف الأميرة والأمير، وشارك فيه الكهنة من الجانبين وحين اقترح «حويا» إنزال بعض وحدات الجيش إلي الميادين والشوارع واستخدام موسيقي الجيش ابتهاجا بالحدث، احتد الفرعون:

– كلا الجيش حق للوطن وليس للأمراء والأميرات، مهمته أقدس وأكبر من إقامة الاحتفالات الخاصة بالأفراد ولو كانوا ملوكا..

فرحت نفرتيتي قائلة:

– سلمت لنا وسلمت مصر..

.....

.....

وفي العام الثامن عشر من الحكم، خلا القصر لاخناتون وزوجته بعد أن تزوجت «عنخس» من توت عنخ آمون في حفل مشهود رحلا بعده إلي قصرهما في طيبة، ولم تكد تمر بضعة أشهر حتي تزوجت «نفرنفرو» من الأمير «باماي»، ولحقت بأختيها..

حاكم نفسه في مراجعة صريحة لسنوات حكمه معترفا بما عجز عنه .. وقرر أن يقود بنفسه جيشا كبيرا لإنهاء الاضطرابات في آسيا، وأن يظل هناك وقتا أطول يشرح فيه عقيدته، فقد طال عبث كهنة آمون، وتشويههم للعقيدة الآتونية.. خصص «جويا» ميزانية ضخمة لتسليح الجيش والإنفاق عليه، وشعر الناس بالزهو وهم يرون العجلات الحربية تشق شوارع المدينة متجهة إلي مواقعها..

وأبلغ حورمحب الفرعون بأن الجيش جاهز للقتال في أى وقت يشاء..

ونفرتيتى ترقب عن كثب ما يجرى..

قرأ اخناتون فى عينيها بريقا لم يعهده منذ سنوات طويلة، أمسكت بيديه تطوحهما يمينا وشمالا وهي تقول :

– أنا فخورة بك يامولاى .. ستعم دعوتك كل بقاع الأرض ، وتكون سيد العالم أجمع .. ثم سحبت يديها وتقوقعت في جانب من الحجرة ، تتملاه ثم تتنهد في ريبة ورهبة .. قالت :

– هي رحلة للدين والمجد، لكن فيها ما فيها من أخطار

يا حبيبي .. خذني معك .. نحيا معا .. أو ..

– لا تكملي .. آتون يحمينا ويوفق خطانا ، ولدىّ أخباراً مبشرة عن ازدياد أنصار عقيدتنا في آسيا حتي أن الأمير شبليو يقود حركة دينية واسعة في بلده خيتا ..

أمر باحضار العازفات والراقصات في القاعة الرئيسية ليبدد هواجس الملكة ، ويعيدوا ليلة من ليالي الأنس والسمر التي غابت عنهم طويلا ..

أصداء الأنغام تطوف بالقاعة ، وبمئات الأعمدة فيها والراقصات يبدعن أرق فنونهن ، والملكة تفتح إناء عطر تضع قطرات منه علي يدى الفرعون ورقبته .. وتميل أكثر من مرة على أذن الفرعون ، وتهمس بكلمات تنتهى بضحكة نابعة من القلب ..

في آخر الحفل .. قالت ..

– كم نحتاج إلى هذا الدفء الجميل مرات ومرات ..

وقضيا بقية الليلة في لعب النرد ، وأتاحت له نفرتيتى أن ينتصر فى معظم اللعبات ليكون فألا حسنا فى الحرب القادمة

Looloo
www.dvd4arab.com

لم تكن تدرى أن أمنيتها لن تتحقق أبدا ..
وأن تلك الليلة المخملية لن تهل من جديد
لقد رحلت روح إخناتون بدون حرب ..
اهتزت أرجاء اخناتون ، وناحت الطيور ، وبكى النهر ، والتراب ساكن حزين ..
صدقت يا اخناتون .. فقد مضيت ، وكلماتك تضيء قلوب المؤمنين ، وتختلط بأحلامهم ، وتصحبهم في رحلة ما بعد الحياة ، هى نور هنا ونور هناك ..
لقد نجوت بما تركت فى الأرض ، وبزفاف الملائكة لروحك إلى جنة الأنبياء والأطهار .
صرخت نفرتيتى : كلا .. لم يمت .. سلوا المعابد والأناشيد والتراتيل ، وجواده الأثير ومركبته التى تنتظره لينشر الدين فى الأرض. إنه حاكم وفكرة ، والفكرة ستظل حية إلى يوم الدين ، ونحن بها مكلفون ، ونحن عليها عاكفون ، ونحن بوهجها سائرون، وسيكون اخناتون مطلع الفجر والفخر دائما القلب لعالم الروح .. ثم هنيئا خالدا ، ونحن على هديك ودربك فى رباط متين .

- ١٤ -

تحولت اخناتون إلي مسرح كبير تدور عليه أحداث متلاحقة ، غير متوقعة اثرموت إخناتون .
أتي «سمنخكارع» مسرعا من «طيبة» ، وبرفقته زوجته «ميريت» و«توت عنخ آمون» الأصغر سنا ..
في الليل استولي «سمنخكارع» - سرا - علي مخازن الذهب

Looloo
www.dvd4arab.com

والفضة ، وأفرغ ما فيها وحمله علي ثلاث دواب تمهيدا للسفر إلي «طيبة» في الفجر

احتقر «توت عنخ آمون» تصرف أخيه ، فحكي لنفرتيتي ما وقع دق قلبها بعنف .

«آه .. إن النوائب لا تأتي فرادى .. حتى أنت يا «سمنخ كارع» يا زوج ابنتي ، ويا سندى في ضائقتى وأزمتى» .

قالت لتوت عنخ آمون بعد تفكير طويل :

كأن شيئا لم يكن يا توت عنخ .. الصمت ثم الصمت عليك أن تلهيه عنا بعض الوقت .

وفى إجتماع سرى مغلق اتفقت مع «محو» على خطة لاستنفاذ أموال الشعب بلا ضجة ..

تحرك عدد من أشد رجال الشرطة وقبضوا على أصحاب الدواب الثلاث التى تتأهب للفرار ، وأعادو الذهب والفضة إلى المخازن ، وكثفوا الحراسة عليها ..

تساءل الناس فى كل مكان

الحكم لمن الآن ؟

نفرتيتى لا تريد أن تنشغل بالحكم عن الدين

وتمر الأيام .. وينهار الحلم الجميل شيئا فشيئا ، لقد خرج كهنة آمون من جحورهم وزلزلوا عقيدة التوحيد الوليدة بأكاذيبهم ، فارتد من ارتد ، وخلع المنافقون أقنعتهم وأعلن ارتداده حور محب وتخلى عن اسمه الإيمانى آتون محب .

وكذلك «معى» و«حويا» وعدد من كهنة آتون .. رياح الشرك عاتية ، فهل يؤول الحكم إلي أنصار أمون .. حدثت نفرتيتى نفسها: كلا .. لن يكون ، سأحافظ إلى آخر عمرى على عقيدة

التوحيد والحق التى عشنا من أجلها .. لا تتألم يا إخناتون فى مرقدك ، سنحافظ على العقيدة بكل ما نملك .

من هو ذلك الفتى الذى يؤمن بآتون ، ويرضى عنه الجميع ؟ ألم يقل اخناتون .. إن الأرض من أرض الله . فى مصر وغيرها .. آه .. لا غير .. «شبليو» أمير ابن ملك من حقه أن يعتلى العرش دون معارضات ، وهو مخلص لآتون .. كما أنه رآنى وأنا رأيته ..

بعثت برسول إلى ملك خيتا ، تطلب منه أن تتزوج من ولده «شبليو» وأن يصبح فرعونا لمصر ..

رآها ملك خيتا فرصة سانحة ليمتد نفوذه إلى مصر وما يتبعها وتحرك ركب العريس «شبليو» محملا بالهدايا النادرة من سن الفيل والقردة والغزلان وأجود الأطعمة والأشربة والخيول والجواهر التى تليق بجميلة الجميلات ، وشبليو فى حلم دائم بملك مصر وبالجميلة نفرتيتى ..

أعلنت الملكة الخبر .. فرح المتمسكون بعقيدة التوحيد ففيه حماية للدين وأتباعه ، بينما ثارت ثائرة المعارضين والطامعين قائلين :

لن يكون .. وهل خلت مصر من الرجال ؟

واصل الركب تقدمه باتجاه حدود مصر .

أوكلت نفرتيتى لـ «محو» مهمة ترتيبات وصول واستقبال الركب والاحتفال به...

اشتعل الكاهن المرتد «آى» حنقا ، وأعد بمعاونة بعض جنود «حور محب» كمينا ليخلص مصر من هذا القادم الخيتى «شبليو» ولإغلاق صفحة أتباع آتون .

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت الأوامر واضحة :

– كل الاحتمالات مقبولة ، إلا أن يصل شبليو إلى مصر ظن «شبليو» مع إطلالة طلائع جنود «حور محب» إنهم جاءوا لاستقبال الوفد .. لعلهم من حرس شرف القصر الفرعونى ساعات، ويقرع الخبر مسامع الدنيا ..

رائع أن يكون سقف الواقع أعلى من الحلم . وفضاءاته أرحب وأبهى .

عزفت بعثة «شبليو» الموسيقي ، ورقصت الخيول المدربة لكن .. أين أنغام البعثة الفرعونية ، ولماذا هم يسرعون هكذا فأفزعوا الغبار حولهم وخلفهم .. وانتاب الشك أعضاء بعثة «شبليو» ..

هبط الجواب الحاسم ..

وانطمس الحلم الوردي مع هجمات الحراب والسهام .. واستأسدت البعثة فى الدفاع عن عريسها الأمير ، لكن الضربة القاضية لم تكن من نصيبهم ، سقط الأمير صريعا ، وضاعت بارقة الأمل الأولي والوحيدة لإنقاذ نفرتيتى والدعوة لآتون .

اصطبغت أحلام نفرتيتى بدماء شبليو

ورضخ البقية الباقية من الوزراء والكبراء فى إخناتون لثورة أنصار آمون المضادة الجارفة التي شملت أرجاء مصر ..

وكما خسرت نفرتيتى رهانها الأول ، فقدت الأوراق البديلة ، بينما صعد نجم سمنخكارع بقوة ..

وتعلقت نفرتيتى بومضة أخيرة ، وهى ميريت .. أرهقها التمنى قالت : معنى أن يكون سمنخكارع هو الفرعون تكون ميريت هى

الملكة ، وأنا أم الملكة ، وقد استطيع أنا وهى أن نصد تيار الكفر الجامح ، وتعود شمس آتون الرحيمة المنجية إلى سماء الدنيا .

وأبت أن تفارق إخناتون ، واحة الحنان والأمان وقبلة ديانة التوحيد .

تقلص الخدم والحرس والأصدقاء ..

وخفتت أصداء الحياة في إخناتون ..

حتي التجار والحرفيون رحلوا عنها إلي طيبة ومدن أخرى ..

وصديقتها «بنره» أيضا رحلت مع زوجها الوزير «حويا» .

وبيوت الكهنة المجاورة باتت بيوت أشباح فقد تبخروا إلى طيبة .. يتلمسون آلهة المجد والسلطان ويلعقون الرضا السامى من أحذية الفرعون الجديد .. أما الكاهن العجوز «مرى» فكان الوفى الوحيد الذى ظل فى بيته ولم يغادر إخناتون ..

كثرت الكلاب الضالة فى الشوارع والحوارى

وأسراب القطط تزداد عددا وجوعا وراء الجدران

والطيور يسأل بعضها البعض عن مدينة عاطفية مبهرة كانت هنا .. فى المكان ذاته .

وغابت أخبار طيبة والجيوش التى دفعها ملك «خيتا» للثأر لمقتل ولده الأمير «شبليو» .

والملكة ميرت ما بالها ؟ بها رج المجد والحكم، أدارت رأسها ولم تعد تزور أمها التى احتضنتها كل ثوانى العمر ..

حدثت نفرتيتى مدينتها : «الحقيقة الباقية أن مصيرنا واحد أيتها المدينة الذابلة» ..

Looloo
www.dvd4arab.com

هذه الطبعة من سلسلة روايات الهلال للأولاد والبنات
تصدرها دار الهلال
بالاشتراك مع المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة